جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي
معهد العلوم الإسلامية
أصول الدين

تفسير سورة الحج تفسيراً بيانياً

مذكرة تخرّج تدخل ضمن متطلبات الحصول على شهادة الماستر
في العلوم الإسلامية ـ تخصص: التفسير وعلوم القرآن

الطالبة:
صارة لقميري

المشرف:
أ. العيد حذّيق

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
د.كمال قدة	أستاذ محاضر (أ)	جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي	رئيسا
أ. العيد حذّيق	أستاذ مساعد (أ)	جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي	مشرفا ومقررا
د.ميلود عمارة	أستاذ مساعد (أ)	جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي	مناقشا

السنة الجامعية: 1437– 1438هـ/ 2016– 2017م

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾

[الحج: 46]

الإهداء

إلى شمسي وقمري في هذا الكون...إلى ناظري...أمي وأبي

إلى رياحين الحياة وشقائق الفؤاد...إخوتي وأخواتي

إلى من ألف الله بين قلوبنا من غير حول لنا ولا قوة... صديقاتي

إلى من أخذت القرآن عنها عذبا مرتلا...معلمتي

إلى من أخذت من أدبهم قبل علمهم...أساتذتي

إلى كل من شاركني الرحلة في طلب العلم...دفعتي

إلى كل عالم وعلم ومعلم ومتعلم...نفع أمتي

إلى الضاد وإخوانه...إلى من أحبها...لغتي

إلى رفيقي الذي عشقت حروفه قبل أن أراها...إلى مصحفي

إنَّ كلمة شكراً وإن كانت في عرف النحاة لا تعدو أن تكون مفعولاً مطلقاً لفعل محذوف تقديره أشكر

فلعلَّها تجزئ عن باقي عبارات الشكر والثناء ولعلّها تنوب عن باقي الحروف وعساها أنْ تعبر

عن شكر مقرون بالحمد والثناء لذي المنِّ والعطاء لمن نعمه تضيق بها المئات والألوف بلْ إنَّها لا تقدر

أحمده حمدا الشاكرين لفضله الجزيل بتوفيقه لي لاختيار هذا الموضوع والبحث فيه بما سهّل ويسّر

والشكر موصول بهمزة وصل لا انقطاع لها إلى من كانوا معي بأنفسهم وأنفاسهم عائلتي التي بها أفخر

كما أجزل شكري إلى أستاذي المشرف الذي كان أميناً على تصحيح وتصويب مذكرتي

وشكر لمن ساندوني بدعواتهم وبكلماتهم وبنظراتهم, إلى كل عزز ثقتي وآزرني أسأل الله أن يجزيهم الجزاء الأوفر

الملـخـــص

هذه الدراسة والتي عنونتها بـ: **تفسير سورة الحج تفسيراً بيانياً**، تأتي للإجابة عن إشكال محوري رئيس مفاده: ما هي القيم الجمالية التي حملتها سورة الحجِّ؟

وقد حاولت الإجابة عن هذه الإشكال المطروح من خلال ثلاثة فصول؛ أمّا الأول وهو الفصل التمهيدي فجعلت فيه مقدمتان خصصت الأولى للتفسير البياني، بقصد تحرير المفاهيم، ورغبة مني بأن تكون مقدمة لمن أراد أن يسلك هذا النوع من التفسير، وأمَّا المقدمة الثانية فهي لا تقل أهمية عن سابقتها؛ وذلك لأنَّها تعطي تصوراً عامًّا عن السورة المراد تفسيرها، فذكرت فيها وجه تسمية سورة الحجِّ بهذا الاسم الذي لم تعرف باسم غيره، وبينت مكيها من مدنيها، وأتبعته بعدد آيتها ومحورها العام، واقتصرت على ما صحَّ من الروايات في سبب نزولها، وختمت بالمناسبات فيها.

وأمّا الفصل الأول من الفصلين التطبيقيين فقد جعلته لدراسة بلاغة اللفظة القرآنية كما تصورها السورة الكريمة، فبدأت بأدق وأصغر عناصر الكلمة وأقصد بذلك حروف المعاني، واقتصرت على ثلاثة أنواع منها بالنظر لكثرة ورودها في السورة، ويتعلق الأمر بحروف الجرّ وحروف العطف والأحرف المشبهة بالفعل، ثمّ أفردت المبحث الثاني بالألفاظ التي تفردت بها السورة، وختمت الفصل بإبراز بلاغة الفاصلة القرآنية في السورة.

وأمَّا الفصل الثاني فقد ذكرت فيه شيئا من الأساليب في السورة فبدأت بأسلوب النداء، ثمَّ أسلوب التقديم والتأخير، وآثرت أن يكون ختامها مسكا مع أساليب البيان والبديع في السورة.

ومن أهم النتائج التي وصل إليها البحث:

إن كانت الصبغة الجمالية ظاهرة بيِّنة على الأساليب البلاغية في السورة فهي أيضا كانت تواكب موضوعات السورة، وتتماشى مع مقاصدها، فنجد الأسلوب البلاغي حاضرا في معرض الاستدلال والترهيب والترغيب والقصص المجملة وحتى في الأحكام، على عادة القرآن الكريم في حشد الأساليب البلاغية ووجوه البيان في تقرير مقاصده.

Abstract

This study, whose title is as follows: Interpretation of Surat Al-Hajj, graphically, comes to answer the main problem: what are the aesthetic values that Surat Al-Hajj carried?

I have tried to answer this problem through three chapters; the first is the introductory chapter in which I made two introductions to the first of the graphic interpretation, with the intention of liberating the concepts, and my desire to be it an introduction to those who want to follow this type of interpretation.The second introduction is no less important because it gives a general view of the surah to be interpreted. I have mentioned the face of naming the Surat Al-Hajj by this name, which was not known by anyother name, and I showed which verses are Makiyaand which are Madania. Also, I have followed this by a number of verses and their general axis, and I confined myself to mention only the true stories in the reason of their descent.

As for the first of the two practical chapters, it is devoted to study the eloquence of the Quranic verses asit is conceived by the Surat. So, I began with the tiniest and smallest elements of the word: letters of meanings. I limited myself to only three of them, given the large number of them in the Surat, and this refers to prepositions, alphanumeric characters and semi-verb letters. Then, I dedicated the second section to the terms the Surat with which the Surat has been distinguished. I concluded the chapter by highlighting the eloquence of the Quranic comma in the Surat.

As for the second chapter, it was begun with an introduction to the method in the Holy Quran, and then I mentioned some of the methods in the Surat. I started with the style of the call, then the method of submission and delay.And I liked to seal this chapter with the methods of the statement and the Badi in the Surat.

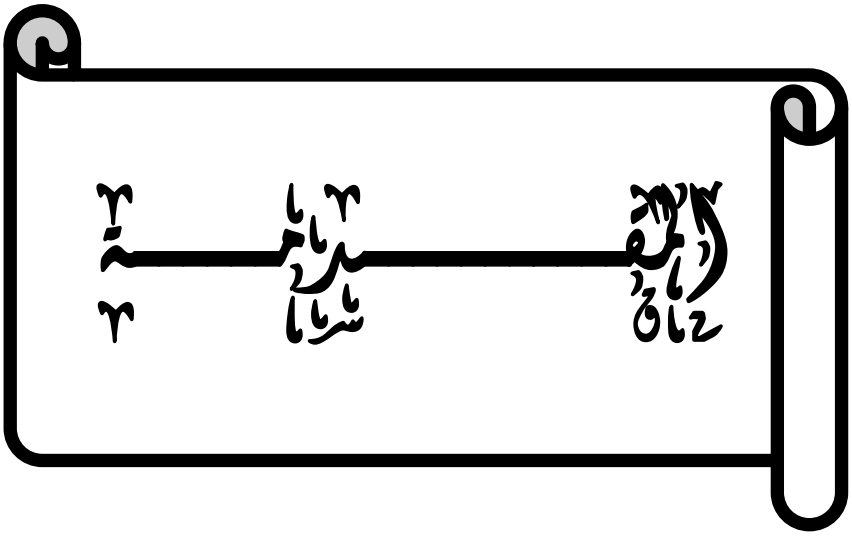

الحمد لله الذي أذعنت لجلال وجهه جباه المصلين، وخرَّت لجبروته السماوات السبع والأرضين ، سبحانه هو القوي المتين ، وهو أحسن الخالقين ، وصلاته وسلامه على سيَّد ولد آدم وأفصح الناطقين، اجتباه ربه وخصَّه بأن جعله خاتم الأنبياء والمرسلين ، وأنزل عليه القرآن تبياناً لكل شيء ورحمة للعالمين، وهدى وبشرى للمحسنين، صلى الله عليه والملائكة أجمعين، عليه وعلى آله وأصحابه الغرِّ المحجلين، الهداة المهتدين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أمَّا بعد:

فإنَّ بلاغة البيان القرآني فاقت كل صنوف الكلام، وقد شهد لها العرب ــ وهم أرباب البيان ــ سواء من آمن منهم أو من قد كفر، فهي بلاغة تجاوزت التراكيب والألفاظ لتلحق حتى بالأحرف، فعذوبة الكلمة القرآنية وتناسبها مع السياق كان وما فتئ أن يكون مصدر بحث في كل سورة من سور القرآن العظيم، وهي لا تخفى عن أولئك الأئمة الحذاق الراسخين في العلم، الذين اتخذوا من البلاغة القرآنية وسور القرآن بحراً زاخراً ينهلون من دره التي لا تنقضي، ومن تلك السور سورة الحج، فهذه السورة تعتبر من أعاجيب السور في القرآن كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى الذي قال عنها: "سورة الحجّ فيها مكي ومدني، وليلي ونهاري، وسفري وحضري، وشتائي وصيفي...، ويوجد فيها ذكر القلوب الأربعة: الأعمى والمريض والقاسي والمخبت الحيّ المطمئن إلى الله، وفيها من التوحيد والحكم والمواعظ على اختصارها ما هو بين لمن تدبره، وفيها ذكر الواجبات والمستحبات كلها، توحيداً وصلاة وزكاةً وحجاً وصياماً..."[1]

فهذه السورة التي ابتدأت بنداء وختمت بمثله، وبين ذانك أحكام وحكم وشرائع وقيم، هي محل دراستي.

[1] دقائق التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية، تحق: د. محمد السَّيد الجليند، ط2: 1404هـ/1984م، مؤسسة علوم القرآن-دمشق، ج: 4، ص: 371.

أولا– الإشكالية البحث:

إنَّ الهدي القرآني في سورة الحجَّ، والذي يتجلى في قيم وأخلاق وتشريعات وأحكام، قد اجتهد المفسرون في إبرازها كلٌ بطريقته الخاصة، وكلٌ بحسب منهجه واتجاهه، غير أن في هذه السورة الكريمة ــ وككل سور القرآن الكريم ــ ملامح جمالية آسرة، وأساليب تعبيرية، وصور بيانية وفنية ما ينبغي للباحثين الكشف عن أسرارها، والغوص في أغوارها، وهذا ما سأحاول إماطة اللثام عنه؛ والتي عنونتها بـ:

****تفسير سورة الحجّ تفسيراً بيانياً****

وهذا الإشكال الرئيس هو قمة ما أرنو للوصول للإجابة عنه، ولابد لبلوغ هذه القمة من سلم من الأسئلة الفرعية أذكر منها:

- ✓ ما المقصود بالدراسة البيانية أو التفسير البياني؟ وما الذي يحتاجه المتصدي له؟ ومن هم أبرز رواده؟
- ✓ ما هو الجو الذي نزلت فيه سورة الحج؟ وهل ورد فيها سبب نزول؟
- ✓ فيما تكمن بلاغة اللفظة القرآنية في السورة؟ وفيما تتجلى صورها؟
- ✓ ما مدى تنوع أساليب القرآن في السورة؟

ثانيا– أهمية البحث: يكتسب هذا الموضوع أهمية بالغة من حيث كونه:

- ✓ يبحث في القيم الجمالية و تحققّه في القرآن الكريم مبنًى و معنًى لأنّه من الواجبات التي يتعين على الباحثين الوفاء بها.
- ✓ أنَّ دراسات القائمة حول التفسير اللغوي و البياني للقرآن الكريم، تعدُّ بمثابة البديل الأكفى عمَّا يسمونه بالقراءات الحداثية للقرآن الكريم.
- ✓ يوقف على مكامن للإعجاز البياني في السورة.
- ✓ يثري لمجموع جهود علماء هذا العصر من حيث إضفاءه لمسات جديدة على التفسير البياني المعاصر.

ثالثا– أسباب اختيار البحث: دوافع عدّة تلك التي حملتني على اختيار هذا الموضوع دون غيره أذكر منها:

- ✓ استجابة لقوله تعالى ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ **[الحج: 46]**.
- ✓ أنّ أطيب ثمرة يمكن أَنْ يجنيها طالبٌ في مثل هذا التخصص ــ علوم القرآن والتفسير ــ هي معرفته لمعاني كتاب الله تبارك وتعالى وهذه السورة جزء منه.
- ✓ منزلة البيان القرآني وتجليه بوضوح في السورة الكريمة وبصور متنوعة.
- ✓ تعدد مظاهر الإعجاز في السورة من إعجاز بياني وعلمي وغيرهما.
- ✓ أنَّ هذه السورة جمعت بين سمات القرآن المكي والمدني ما يستوقف القارئ المتدبر لها لتكشف له عن تنوع أساليب الخطاب فيها.
- ✓ حضور الصور البيانية فيها وبقوة.

رابعا– أهداف البحث: من خلال هذا البحث أسعى للوقوف على:

- ✓ مفهوم التفسير البياني، وبيان أدواته والمرحل التي مرَّ بها لتكون القاعدة التي أنطلق منها لتفسير سورة الحجّ.
- ✓ جمع شتات اللطائف والنكت البلاغية التي ذكرها المفسرون عند تفسيرهم لهذه السورة الكريمة.
- ✓ تشجيع البحث في مثل هذا النوع من التفسير، الذي يعد البحث فيه محتشما جدا.
- ✓ إثراء البحوث العلمية الأكاديمية المقدمة في هذا اللون من ألوان التفسير.

خامسا–الدراسات السابقة:

بعد البحث والاطلاع وعلى حدّ علمي ــ والله تعالى أعلى وأعلم ــ فإنَّي لم أقف على من تناول هذا الموضوع بالبحث والدراسة، سوى تلك الجهود القيمة التي قدمها الأئمة المفسرون قديما وحديثا الذين اهتموا بإبراز الجانب البلاغي في النظم القرآني، فتلك الجهود كانت اللَّبنة التي انطلقت منها لتفسير هذه السورة، هذا من ناحية.

ومن ناحية ثانية : فإنّي وقفت على من تناول سورة الحجّ بالبحث ولكنَّ ليس من المنظور البياني والأمر يتعلق بدراستين وهما:

1-سورة الحجّ دراسة نحوية وصرفية، من إعداد الباحث: إبراهيم عبد السلام أديبولو، إشراف: الدكتور سعد بكر أبو السعود، وهي رسالة قدمت لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية، في جامعة أمّ القرى، كلية اللغة العربية بقسم الدراسات العليا-فرع اللغة العربية 1415هـ/1995م.

تناول فيها الباحث الأبنية الصرفية في السورة؛ وقسمها إلى نوعين الأسماء والأفعال، كما تعرض إلى دراسة حروف المعاني، واتبعها بدراسة التراكيب، وختم رسالته بذكر شيء يسير جدا عن بعض الأساليب الواردة في السورة، وبشكل عام فقد أوفى بمسمى رسالته.

2-توجيه القراءات الشاذة في سورة الحجّ وأثرها في التفسير، من إعداد الباحث: أحمد بن جعفر، بإشراف الدكتور: خير الدين سيّب، وهي رسالة قدمت لنيل درجة الماستر في العلوم الإسلامية تخصص الدراسات القرآنية بجامعة أبو بكر بلقايد.

تناول فيها الجوانب الصرفية والصوتية في السورة وأثرها في التفسير، ثمَّ تطرق إلى الجوانب النحوية والبلاغية في السورة وأثرها في التفسير، كل ذلك من خلال القراءات الشاذة الواردة في السورة.

ومن ناحية ثالثة : فإنَّ تعلَّق هذه الدراسة بالتفسير البياني حملني على النظر في سور التي درست على شاكلته، فوقفت على دراسات وكتب من جملتها:

1-سورة فصلت دراسة لغوية وبيانية، من إعداد الباحث: كمال سلمي شحادة الكوز، إشراف الدكتور: عودة خليل أبو عودة، رسالة قدمت لنيل درجة الماجستير في تخصص اللغة العربية وآدابها، بجامعة الشرق الأوسط.

قدّم الباحث فيها تعريفا عاما بالسورة، ثمَّ تعرض لمظاهر الإعجاز اللغوي والبياني فيها، وقد وقف فيها على القضايا اللغوية والبلاغية في السورة.

2-تأملات في سورة إبراهيم عليه السلام ـ تفسير بلاغي تطبيقي ـ للدكتور: عادل أحمد صابر الرويني، وكانت طبعته الأولى في 1434هـ / 2013م، وأصدر عن جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم-الإمارات.

وهو كتاب ماتع جداً تعرض فيه لتفسير سورة إبراهيم عليه السلام آية آية، مع إشراقات تفسيرية ولمسات بلاغية.

سادسا–مصادر البحث:

تنوعت مصادر البحث وتعددت مشاربه، وسأقتصر على أهمَّها فأقول:

1–في علم التفسير: التحرير والتنوير للعلامة ابن عاشور.

2– في علوم القرآن: البرهان للإمام الزركشي.

3– في علم النحو: الكتاب لسيبويه.

4– في علم البلاغة: أسرار البلاغة للجرجاني.

5– في إعجاز القرآن: دلائل الإعجاز للجرجاني.

سابعا–المنهج المتبع:

اقتضت طبيعة الدراسة الاعتماد على جملة من المناهج، وذلك بحسب الحاجة إليها في أطوار البحث، وبيان ذلك كما يأتي:

المنهج الاستقرائي: وقد اعتمدته في الفصل التمهيدي، وذلك من خلال استقراء أقوال اللغويين والعلماء في معنى التفسير والبيان، وكذا في التعريف بسورة الحج.

المنهج الوصفي التحليلي: والذي كان ظهوره وبجلاء في الفصلين الأول والثاني؛ إذْ استعنت به في عرض الأقوال ومناقشتها، واستنباط النكات البلاغية، وتحليل الأساليب البلاغية والصور الفنية.

ثامنا–منهجية البحث:

حاولت في هذه الدراسة الاعتماد على منهجية ثابتة، والسير معها من بداية البحث وحتى آخر فصوله، ولعلّي أبرزها في النقاط الآتية:

1–في عرض المادة العلمية: وذلك أنَّي عادة ما أسبق عرض المبحث أو المطلب أو ما دونهما أنَّي أصدرها باستفهام؛ تشويقا للسامع، وترسخا للمعلومة.

2–في الاستشهاد بالآيات:

– قمت بنسخ الآية المرادة بالاعتماد على مصحف المدينة برواية حفص عن عاصم.

– بعد أن أورد الآية فأنّي أتبعها بذكر السورة ورقم الآية، ولا أعزوها في الهامش من باب التخفيف، وهذا فيما دون سورة الحجَّ فأنّي أكتفي بذكر الآية دون رقمها ولا حتى اسم السورة.

3-في الاستشهاد بالأحاديث النبوية:

-الأحاديث التي تمَّ الاستشهاد بها في هذا البحث إمَّا أن تكون من الصحيحين أو من أحدهما، مما كفاني مئونة الحكم على الحديث، سوى حديث واحد بينت حكمه عند ذكره.

-أقوم بتخريج الحديث دون ذكر إسناده كاملا مكتفية باسم روايه الذي رواه عن النبيﷺ.

-عند عزو الحديث في الهامش، أبدأ بمن أخرجه ثمّ اسم الكتاب الذي خرجه فيه، ثمَّ المحقق فالطبعة وسنة الطبعة، ثمَّ دار النشر وسنته إن وجدوا، إذا ما ذكرته أول مرة، ثمَّ الكتاب فالباب، فرقم الحديث، وأختم بالجزء والصفحة.

4- في ترجمة الأعلام:

- لم أترجم لجميع الأعلام المذكورين، واكتفيت بترجمة بعضهم بالرجوع إلى الكتب المتخصصة، حتى لا أثقل على الهامش.

-عند الترجمة أبدأ بذكر اسمه كاملا، ثمّ الفنّ الذي اشتهر به، ثمّ أذكر أهمّ مؤلفاته، ثمّ وفاته، مع إحالة للمصدر المترجم منه وصاحبه، ثمّ الجزء والصفحة ما بين قوسين.

5-في توثيق المعلومات:

-إذا كان الاقتباس أول مرّة فإنّي أذكر المعلومات الخاصة بالمصدر أو المرجع كاملة.

-أبدأ باسم الكتاب ثمّ صاحبه، ثمّ التحقيق، ثمّ الطبعة فسنة الطباعة، فدار النشر ثمّ سنة النشر، ثمّ الجزء والصفحة، مراعية في ذلك الترتيب، فإذا غاب عنصر منها قدمت الذي بعده مباشرة.

-إذا تكرر استعمال الكتاب فأكتفي بذكر اسمه واسم صاحبه والجزء والصفحة.

-إذا كان الاقتباس حرفيا فإني أضعه بين شولتين هكذا "...".

- إذا كان الاقتباس بالمعنى فلا أجعله بين شولتين، وأصدر التهميش لمصدره في الهامش بكلمة: ينظر.

تاسعا-صعوبات البحث: عند إعدادي لهذا البحث واجهتني ـ ومثل كل الباحثين ـ صعوبات كثيرة أهمّها:

1-تشعب الموضوع وتعلقه بعلمين لهما قواعدهما الخاصة؛ وأقصد بهما علمي: النحو والبيان، واللذان أعتبرهما من أصعب العلوم ومن أكثرها توسعا، فكان لا بدّ من فهم قواعد هذين العلمين، ثمّ التطبيق عليها بما أوردته سورة الحجّ.

2-أنّ هذه الدراسة مقدرة بتوقيت ونصاب معينين لا ينبغي العدول عنهما، فكان من الضروري الاختصار في الشرح والتحليل، والاقتصار على التمثيل.

غير أنّي أجزل لله تعالى الحمد، وأثني عليه بأن وفقني لاختيار هذا الموضوع، ثمّ يسر لي البحث فيه فله الشكر والمنَّة.

عاشرا-خطة البحث: هذه الدراسة احتوت على مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة وذلك النحو الآتي:

المقدمة: بينت فيها الإشكال الرئيس، وأهمية الدراسة، ودوافع اختياري لها، والمنهج الذي سلكته فيها، وهذا أهم ما تضمنته.

الفصل التمهيدي: وفيه مبحثان، أو بالأحرى مقدمتان:

الأولى: في بيان مفهوم التفسير البياني وأدواته ونشأته وأهم رواده.

والمقدمة الثانية: في التعريف بسورة الحج من خلال توجيه تسميها وبيان مكيها ومدنيها وعدد آياتها ومحورها العام، وأسباب النزول الواردة فيها، وختمته بالمناسبات المتعلقة بها.

الفصل الأول: وقد خصصته للحديث عن بلاغة اللفظة القرآنية كما تصورها سورة الحجّ من خلال ثلاث مباحث:

فجعلت الأول لبلاغة حروف المعاني واخترت ثلاثة أنواع منها وهي: حروف الجرّ، وحروف العطف والأحرف المشبهة بالفعل.

وأمّا المبحث الثاني فخصصّته للألفاظ التي تفردت بها السورة، فيما اخترت الحديث عن بلاغة الفاصلة القرآنية في المبحث الثالث.

الفصل الثاني : وقد قدمت فيه دراسة أسلوبية، واخترت أسلوب النداء فجعلته في المبحث الأول وجعلت الثاني لأسلوب التقديم والتأخير، وختمت بمبحث ثالث ضمنته أهم الصور البيانية والمحسنات البديعية.

الخاتمة: وقد ضمنتها أهم النتائج المتوصل إليها وشيئا من التوصيات.

وصلى الله على سيد محمد وسلَّم تسليماً كثيراً.

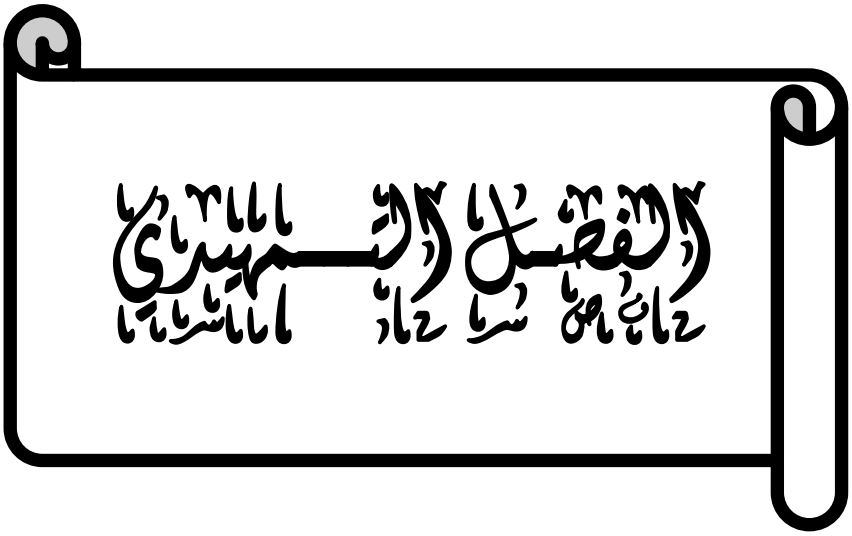
الفصل التمهيدي

الفصل التمهيدي: التفسير البياني وسورة الحجّ في دائرة المفهوم وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التفسير البياني تعريفه, أدواته, نشأته وأهم رواده

وفيه ثلاث مطالب:

المطلب الأول: تعريفه

المطلب الثاني: أدواته

المطلب الثالث: نشأته وأهمُّ رواده

المبحث الثاني: بين يدي سورة الحجّ وفيه ثلاث مطالب:

المطلب الأول: اسم السورة وبيان مكيها ومدنيها وعدد آياتها ومحوها العام

المطلب الثاني: أسباب النزول الواردة في السورة

المطلب الثالث: المناسبات في السورة

المبحث الأول: التفسير البياني مفهومه، وأدواته، ونشأته وأهمُّ رواده

اقتضى العرف العلمي لدى كثير من الباحثين أن يقفوا مع المصطلحات الرئيسة في دراستهم بالشرح والتعريف، حرصا منهم على بيان ما أُبهم منها، ولئلّا يلتبس بغيره، فكان لزاما عليّ ألاّ أحيد عن صنيعهم ذاك، فرأيت قبل خوض غمار الدراسة البيانية لسورة الحجّ؛ أن أقوم بتقريب مفهوم التفسير البياني، وكذا إعطاء وصف ولو كان يسيراً لبعض المباحث المتعلقة به ما استطعت إلى ذلك سبيلا.

المطلب الأول: مفهومه

التفسير البياني مركب إضافي، وقبل التطرق لمفهومه يحسن الوقوف على مفردتين هما أساسه؛ التّفسير والبيان، لكي يكون التعريف بهما مدخلا يوضح المقصود بهذا المصطلح.

الفرع الأول: التّفسير

أولا: التَّفسير في اللغة: قال ابن فارس(ت:395هـ)[1]:"(فَسَرَ) الفاء والسّين والراء كلمة واحدة تدل على بيان شيء وإيضاحه." [2]

والفسر: البيان. وقد فسرت الشيء أفسره بالكسر فسرا. والتفسير مثله. واستفسرته كذا أي سألته أن يفسره. [3]

---

[1] **ابن فارس:** أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب أبو الحسين اللغوي القزويني كان نحويا على طريقة الكوفيين، صنف : المجمل في اللغة ، فقه اللغة ، مقدمة في النحو ، وذم الخطأ في الشعر ، معجم مقاييس اللغة وغيرها، قال الذهبي : مات سنة خمس وتسعين وثلاثمائة بالري (ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج: 17، ص: 104، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، السيوطي، ج: 1، ص: 352).

[2] معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني(ت:395هـ)، تحق: عبد السلام محمد هارون، لا.ط، دار الفكر 1399هـ 1979م، ج:4، ص: 504. مادة فسر.

[3] ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري(ت:393هـ)، تحق: أحمد عبد الغفور عطار، ط4: 1407هـ/1987م، دار العلم للملايين – بيروت، ج:2، ص:781.

ولفظة التفسير لم ترد في القرآن الكريم سوى في موضع واحد، وذلك في قوله تعالى ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾[الفرقان:33]، قال مجاهد(ت:104هـ)" ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ أي: بيانا".[1]

فخلاصة المعاني اللغوية للتفسير: أنه ينصرف عند إطلاقه إلى الوضوح والبيان، وهو المعنى الذي ذكر عند تفسير الآية في سورة الفرقان، وكذا ما استقر عليه أرباب اللغة.

ثانيا: التفسير في الاصطلاح:

تعددت تعريفات العلماء لهذا المصطلح وتباينت بين متوسع ومختصر؛ على أنّها ـ وفي مجملها يطغى ـ عليها التقارب في مراميها، وممن تناوله بالتعريف أئمة كثر أذكر منهم:

ما عرفه به ابن جُزيّ (ت:741هـ)[2] بقوله: "ومعنى التفسير: شرح القرآن وبيان معناه والإفصاح بما يقتضيه بنصه أو إشارته أو فحواه".[3]

وعرفه الزركشي (ت:794هـ) قائلا: "التفسير علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ".[4]

أمَّا ابن عاشور فقد عرفه بقوله: "والتفسير...هو اسم للعلم الباحث عن بيان معاني ألفاظ القرآن وما يستفاد منها باختصار أو توسع".[5]

---

[1] جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير أبو جعفر الطبري (ت: 310هـ)، تحق: أحمد محمد شاكر، ط1: 1420هـ /2000م، مؤسسة الرسالة، ج: 19، ص: 266.

[2] **ابن جُزيّ**: محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، يكنى أبا القاسم من أهل غرناطة، كان فيها حافظا مفسرا، عالما بفنون العربية والقراءات والأدب، وألف الكثير في فنون شتى منها: كتاب وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم، وكتاب القوانين الفقهية، وكتاب التسهيل في علوم التنزيل وغيرها، توفي سنة واحد وأربعين وسبعمائة (ينظر: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ابن فرحون, ج: 1، ص: 154).

[3] التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي (ت:741هـ)، تحق: د. عبد الله الخالدي، ط1: 1416هـ، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، ص: 15.

[4] البرهان علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: 794هـ)، تحق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1: 1376هـ/1957م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ج: 1، ص:13.

[5] التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور التونسي(ت:1393هـ)، لا.ط، الدار التونسية للنشر– تونس 1984م،ج: 1، ص: 11.

واستقر الدكتور مساعد الطيار في تعريفه للتفسير على أنه" بيان المعنى الذي أراده الله تعالى بكلامه".[1]

الفرع الثاني: البيان

أولا: البيان في اللغة:

البَيَان: الفصاحة واللّسن. وفي الحديث: «**إنَّ منَ البَيَان لَسحْرًا**»[2]وفلان أبْين من فلان أي أفصح منه وأوضح كلاما. والبيان أيضا ما يتبين به الشيء من الدلالة وغيرها, و بان الشيء يبين بيانا اتضح فهو بين وكذا أبان الشيء فهو مبين واستبان الشيء ظهر، والتبيين: الإيضاح [3].

ثانيا: البيان في الاصطلاح:

يعرفه البلاغيون بقولهم: "هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في الوضوح والدلالة"[4].

وفي تعريف آخر: "علم يبحث في كيفيّات تأدية المعنى الواحد بطرق تختلف في وضوح دلالتها، وتختلف في صورها وأشكالها وما تتصف به من إبداع وجمال..."[5]

غير أنَّ البيان القرآني ينصرف إلى ما أبعد من ذلك، فهو يتجاوز اصطلاحات البيانيين الذين يعتبرونه أحد أقسام البلاغة الثلاثة[6] فهو بيان أوسع من ذلك بكثير، وهو أقرب للمدلول اللغوي وهو" الكشف عن الشيء".[7]

---

[1] مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، د. مساعد بن سليمان الطيار، ط2: 1427هـ، دار ابن الجوزي لنشر والتوزيع، ص: 54.

[2] أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب: النكاح، باب: الخطبة، رقم الحديث: 8، تحق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1: 1422هـ، دار طوق النجاة، ج: 7،ص: 19.

[3] ينظر: مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت: 666هـ)، تحق: يوسف الشيخ محمد، ط5: 142هـ / 1999م، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ص: 43.

[4] الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، لا.ط، دار الكتب العلمية بيروت، ص: 219.

[5] البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حسن حبنّكة الميداني، ط1:، دار القلم. دمشق. والدار الشامية. بيروت .، ج: 2، ص: 126.

[6] البلاغة العربية تنقسم إلى ثلاثة علوم: علم المعاني، وعلم البيان، وعلم البديع.

[7] المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: 502هـ)، تحق: صفوان عدنان الداودي، ط1: 1412هـ، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، ص: 157.

أي: مطلق الكشف والإيضاح، والقرآن منزل بلسان عربي مبين كما تقرر ذلك في القرآن من ذلك قوله تعالى﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء:195]

الفرع الثالث: مفهوم التفسير البياني باعتباره مركبا إضافيا

بعد التّعرف على المعنى اللغوي وكذا الاصطلاحي لكل من مفردتي: التفسير والبيان؛ يمكن الانطلاق منهما إلى تعريف التفسير البياني، وجدير بي التنويه قبل ذلك على ملحوظتين اثنتين وقفت عليهما خلال بحثي.

أمَّا الأولى: فإني ـ وبحسب علمي ـ لم أقف على من تناول هذا المصطلح بالتعريف من المتقدمين، وهذا معهود عنهم؛ وهو عدم اهتمامهم بوضع المصطلحات وانشغالهم بالتطبيق على التنظير، ولعلَّه من العلم الذي تركه الأول للآخر.

وأمَّا الآخرة: التداخل الشديد بين كل من التفسير البياني والإعجاز البياني، وذلك يظهر من خلال استعمالات العلماء، ولكنّ اهتمام أولئك بالثاني ومسائله كان أكثر ثراءً من الأول، ممّا يدفع إلى ضرورة تحرير المفاهيم.

وبالعودة إلى مفهوم التفسير البياني فإنّي وقفت على تعريف له عند الدكتور فاضل السامرائي يقول فيه:" وأما التفسير البياني فهو التفسير الذي يبين أسرار التركيب في التعبير القرآني ".[1]

وعقب على ذلك بقوله: " فهو جزء من التفسير العام تنصب فيه العناية على بيان أسرار التعبير من الناحية الفنية كالتقديم والتأخير، والذكر والحذف، واختيار لفظة على أخرى وما إلى ذلك ممّا يتعلق بأحوال التعبير."[2]

وإلى هذا المعنى أشار كل من صلاح الدين الخالدي[3]وفهد الرومي[4]في معرض حديثهما عن الاتجاه البياني في التفسير.

---

[1] على طريق التفسير البياني، د. فاضل بن صالح السامرائي، لا.ط، كلية الآداب والعلوم جامعة الشارقة 1423هـ 2003م، ج: 1، ص: 7.

[2] المرجع السابق، نفس الصفحة.

[3] ينظر: تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، د. صلاح الدين الخالدي، ط: 3، دار القلم دمشق الدار الشامية بيروت 1429هـ2008م، ص: 568.

[4] ينظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر هجري، د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، ط: 3، مؤسسة الرسالة 1418هـ 1997م، ج: 3، ص: 867.

وقد تبين لي مما سبق أن التفسير البياني: نوع من أنواع التفسير يُعنى فيه المفسر ببيان وجوه وأسرار وأغراض استعمال الألفاظ والتراكيب في سياقات معينة في القرآن الكريم، بغية الوقوف على مكامن الإعجاز البياني في كتاب الله ﷻ.

المطلب الثاني: أدواته

وأقصد بأدواته العلوم التي يحتاجها المفسر البياني لكتاب الله ﷻ وهي ـ بشكل عام ـ العلوم التي ينبغي على المفسر التَّمكن منها والإلمام بها؛ حتى يستطيع بواسطتها تفسير القرآن الكريم، وقد تكلَّم العلماء والمفسرون ـ قديما وحديثا ـ عنها وإن اختلفت مسمياتهم لها.[1]

وفيما يلي عرض لتلك العلوم، علماً أنَّي سأقتصر على ذكر العلوم التي لا غنى للمتصدي لتفسير البياني عنها وهي:

أولا: علم اللغة: لأنَّ به يمكن شرح الألفاظ ومعرفة مدلولاتها بحسب الوضع، قال مجاهد (ت: 104هـ): "لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب"[2]

فلابد له من التبحر في لسان العرب.[3]

ثانيا: علم النحو: لأنَّ المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب فلابد من اعتباره، ومن هنا مست الحاجة إلى اعتبار علم النحو.

ثالثا: علم الصرف: وبواسطته تُعرف الأبنية والصيغ؛ والتصريف الذي تُعرف به الأبنية والكلمة المبهمة فيتضح معناها بمصادرها ومشتقاتها.[4]

---

[1] هنالك من يسميها شروط المفسر كالسيوطي في الإتقان (ينظر: الإتقان، ج: 4، ص: 217)، وهنالك من يسميها استمداد علم التفسير كابن عاشور في التحرير والتنـوير (ينظر: المقدمة الثانية للتحرير والتنوير، ج: 1، ص: 18)، وهناك من يسميها بالعلوم التي يحتـاج إليها المفسر كالزُرقـاني في مناهل العرفان (ينظر: مناهل العرفـان، ج: 2، ص: 52)، إلى غير ذلك من المسميات.

[2] البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج: 1، ص: 292.

[3] ينظر: الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، تحق: محمد أبو الفضل إبراهيم، لا.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1394هـ/ 1974 م، ج: 4، ص: 219.

[4] ينظر: التفسير والمفسرون، د. محمد السيد حسين الذهبي، لا.ط، مكتبة وهبة القاهرة, ج: 1، ص:190. ومباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ط3: 1421هـ/2000م، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، ص: 342. ومناهل العرفان، محمد عبد العظيم الزُرقاني، ط2، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ج: 2، ص: 52.

رابعا: علم البلاغة: بعلومها الثلاث: المعاني والبيان والبديع؛ فعلم المعاني يعرف به خواص تراكيب الكلام من جهة إفادتها المعني، وعلم البيان يعرف به خواص التراكيب من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها، وعلم البديع يعرف به وجوه تحسين الكلام.[1]

وكما قال الدكتور فاضل السامرائي أن هذا النوع من التفسير يحتاج إلى التبحر في علم اللغة؛ فلا تغني المعرفة اليسيرة بل ينبغي للمفسر البياني أن يكون على إطلاع واسع بعلم اللغة،[2] قال صاحب البرهان "واعلم أنه ليس لغير العالم بحقائق اللغة وموضوعاتها تفسير شيء من كلام الله ولا يكفي في حقه تعلم اليسير منها فقد يكون اللفظ مشتركا وهو يعلم أحد المعنيين والمراد المعنى الآخر".[3]

وتجدر الإشارة إلى أنَّ هذه العلوم إنما هي لتحقيق أعلى مراتب التفسير، أمَّا المعاني العامة التي يستشعر منها المرء عظمة مولاه، ويفهم معناها فهي قدر يكاد يكون مشتركا بين عامة الناس وهو المأمور به للتدبر والتذكر لأنه سبحانه سهله ويسره وذلك أدنى مراتب التفسير[4].

المطلب الثالث: نشأته وأهمُّ رواده

إنَّ الحديث عن نشأة التفسير البياني مرتبط ـ أساسا ـ بنشأة علم التفسير، بلْ إنَّه مرتبط قبل ذلك بنزول القرآن الكريم في أمةٍ جعلت من الشعر ديوانا لها، ومن الفصاحة دستوراً يُستعجم من يحيد عنه، أمة سرت البلاغة في شِعابها وما حولها؛ لذلك كان العرب الذين نزل بين ظهرانيهم القرآن أوّل من سُحروا ببيانه، وأوَّلَ من أمكن منهم فهم فنونه وأفنانه.

فمرحلة صدر الإسلام كما قال الدكتور محمد رجب البيومي[5] الذي أبدع في التأريخ لهذا اللون من ألوان التفسير تعتبر مرحلة مهمَّة من الخطأ المرور عنها مرَّ الكرام؛ فيقول الدكتور متعقبا لمن تجاوز هذه المرحلة: "وقد ألف الدَّارسون حين يتحدثون عن التفسير البياني للقرآن أنْ يتعدوا الفترة الأولى في صدر الإسلام إلى ما بعدها حين تهيأت الأسباب العلمية إلى الحديث الاصطلاحي عن مسائل

---

(1) ينظر: التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، ج: 1، ص: 191. ومباحث في علوم القرآن، منَّاع القطان، ص: 342.

(2) ينظر: على طريق التفسير البياني، السامرائي، ج: 1، ص: 7.

(3) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج: 1، ص: 295.

(4) ينظر: مناهل العرفان، الزُرقاني، ج: 2، ص: 51.

(5) الدكتور محمد رجب البيومي في كتابه خطوات التفسير البياني قدَّم دراسة تاريخية وافية لتفسير البياني جعلت كل من تعرض لهذا الموضوع يعتمد على كتابه اعتماداً شبه كليّ بالنظر لقيمة الكتاب الذي ألفه؛ إذ لم يكن مجرد تأريخ للتفسير البياني بقدر ما قدّمه من تعقُّبات لكل فترة وتحليل ونقد لكل من طرق باب البيان القرآني من مفسرين وبيانين وغيرهم.

البلاغة النقدية في العصر العباسي؛ ظناً منهم أنَّ عصر الفطرة لم يتح بعض النظر البلاغي لمن يسمعون القرآن متأملين، ولكنَّ الواقع...يدل على أنَّ القوم إذ ذاك قد درسوا القرآن دراسة من يعرف مناحي القول المختلفة في بيانه ولئن فاتهم الوقوف على البلاغية المختلفة...فنقل عنهم ما يصلح أنْ يكون بذرة التفسير البلاغي"[1]

وقد كان في تفسير النبي ﷺ وهو أفصح النَّاطقين أرفعَ أنواع البلاغة من ذلك:

ما أخرجه البخاري في صحيحه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود ﷺ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ **[الأنعام: 82]** شَقَّ ذَلِكَ عَلَى المسْلِمِينَ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّنَا لاَ يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟ قَالَ: «**لَيْسَ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ الشِّرْكُ أَلَمْ تَسْمَعُوا مَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾ [لقمان: 13]**».[2]

ومن ثمة يستوقفنا فهم الصحابة والتابعين الكرام للبيان القرآني؛ إذ نجد في أقوالهم بذور التفسير البياني تنمو على مَهلٍ وتؤدة، وأنَّى لها ألاَّ تنمو وهم العرب بسجيتهم التي لما يخالطها بعدُ عُجمة، فلئنَّ أدرك الكفار الذين لم يلج الإيمان قلوبهم ذلك البيان واسترقوا السمع لسماع القرآن؛ فما بالك بمن تذوقوا حلاوة الإيمان والقرآن والبيان في ذات الآن؟.

وتبقى مسائل الحَبر عبد الله بن عباس(ت:68هـ) مع نافع بن الأزرق(ت:65هـ)[3] المناقشات الشهيرة[4] حول بعض الألفاظ القرآنية تنطلق بأبلغ دلالة على سعة محفوظه وجودة تطبيقه، بالإضافة إلى ما روي عنه وعن غيره من الصحابة رضوان عليه في كتب التفسير.[5]

وقد ورث عن ابن عباس رضي الله عنهما تفسيره طائفة من تلاميذه بما فيه من جذور التفسير البياني فجاء تفسير مجاهد متأثِّرًا بهذا اللون من التفسير.[6]

---

(1) خطوات التفسير البياني، د. محمد رجب البيومي، لا.ط، مجمع البحوث الإسلامية، ص:9-10.

(2) أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: قول الله تعالى﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِ﴾ [لقمان: 12]، رقم الحديث 3429، ج: 4، ص: 163.

(3) **نافع بن الأزرق**: الحروري، كان نافع هذا من رؤوس الخوارج وإليه تنسب طائفة الأزارقة وكان قد خرج في أواخر دولة يزيد بن معاوية، وكان يطلب العلم وله أسئلة على ابن عباس مجموعة في جزء من رواية، قتل في جمادى الآخرة سنة خمس وستين (ينظر: لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني، ج: 8، ص: 246).

(4) ينظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ج: 2، ص: 68.

(5) ينظر: خطوات التفسير البياني، البيومي، ص:17-21 .

(6) ينظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر هجري، فهد الرومي، ج: 3،ص: 872.

وهذه مرحلة ما قبل التدوين.

وأمَّا مرحلة التدوين: فأوَّل ما يصادفنا فيها كتاب "مجاز القرآن" لأبي عبيدة معمر بن المثنى(ت:210هـ)[1]، وقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية(ت:728هـ) رحمه الله أنَّ المراد بالمجاز هنا حيث قال: "أول من عرف أنه تكلم بلفظ المجاز أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه ولكن لم يَعنَ بالمجاز ما هو قسيم الحقيقة وإنَّما عنى بمجاز الآية ما يعبر به عن الآية".[2]

وذلك أنه حين يتعرض للنصوص القرآنية يشير إلى ما تدل عليه من حقيقة أو مثل أو تشبيه أو كناية وما يتضمن من ذكر أو حذف أو تقديم أو تأخير, فوضع بذلك اللّبنة الأولى في صرح الدراسات البلاغية للقرآن الكريم.

وجاء من بعده سيل من المؤلفين في هذا المضمار فألف الفراء(ت: 220هـ)[3] كتابه "معاني القرآن" وإنْ غلب عليه الطابع النحوي إلا أنَّ صاحبه أتبعه بذكر المسائل البيانية.[4]

وجاء من بعدهم الجاحظ(ت:225هـ)[5] فألف كتابه "نظم القرآن" وهو كتاب مفقود لكنَّ كتب الجاحظ نفسه والدارسين من بعده لا تخلو من الإشارة إليه وبيان غرضه.

---

(1) **أبو عبيدة:** معمر بن المثنى التيمي البصري، النحوي، صاحب التصانيف.الإمام، العلامة، البحر، ولد: في سنة عشر ومائة في الليلة التي توفي فيها الحسن البصري، تصاينيفه كثيرة منها "مجاز القرآن" و"غريب الحديث" وغيرها فقيل: مات سنة تسع ومائتين، وقيل: مات سنة عشر (ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج: 9، ص: 447).

(2) مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت: 728هـ)، تحق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، لا.ط، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية 1416هـ/1995م، ج: 7،ص: 88.

(3) **الفَرَّاء:** أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسلمي المعروف بالفراء، الديلمي الكوفي، كان أبرع الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب؛ ومولد الفراء بالكوفة، وانتقل إلى بغداد وجعل أكثر مقامه بها له كتاب "معاني القرآن"و"الحدود"و"الوقف والابتداء" وغيرها، وتوفي الفراء سنة سبع ومائتين في طريقه لمكة (ينظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان، ج: 6، ص: 181).

(4) ينظر: خطوات التفسير البياني، البيومي، ص: . اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر هجري، فهد الرومي، ج: 3، ص: 873.

(5) **الجاحظ:** أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي المعروف بالجاحظ، البصري العالم المشهور؛ صاحب التصانيف في كل فن، ومن أحسن تصانيفه وأمتعها: "الحيوان"و"البيان والتبيين" وكانت وفاة الجاحظ في المحرم سنة خمس وخمسين ومائتين بالبصرة (ينظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان، ج:3، ص:474).

وابن قتيبة(ت: 276هـ)[1] ألف كتابه "تأويل مشكل القرآن" ردَّ فيه على الطاعنين في بلاغته والجاحظ خطيب المعتزلة وابن قتيبة خطيب أهل السنة كما يقولون.[2]

ودخل القرن الرابع الهجري الذي اختار أصحابه لهذا اللون من التفسير عنوان "إعجاز القرآن"[3] فألف فيه من أهله أبو الحسن علي بن عيسى الرماني(ت:386هـ)[4] كتابه "النكت في إعجاز القرآن" وألف أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي(ت:388هـ): "بيان إعجاز القرآن" وغيرهما.[5]

وجاء القرن الخامس بإمام أَمَّ البلاغة في قرنه بذائقته الرفيعة، فكان بحق ربوة في مسار التقعيد لتفسير البياني، إنَّه العالم الفذُّ عبد القاهر الجرجاني(ت:471هـ) الذي أبان عن رسوخ علمه في: "دلائل الإعجاز" ورسالته التي سماها "الرسالة الشافية في إعجاز القرآن الكريم".[6]

وفي القرن السادس ألف أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري(ت:538هـ) كتابه "تفسير الكشاف" فكان أنموذجا تطبيقا لهذا اللون من التفسير.[7]

وإلى جانب تفسير الكشاف؛ تفسير آخر لا يقل قيمة عنه؛ وهو تفسير لإمام من أئمة السنة الحُذاق وهو ابن عطية الأندلسي (ت:542هـ)[8] في كتابه "المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز". العزيز".

---

[1] **ابن قتيبة**: أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري، العلامة، الكبير، ذو الفنون، صاحب التصانيف.نزل بغداد، وصنف وجمع، وبعد صيته، من تصانيفه "غريب القرآن" و"غريب الحديث"

[2] ينظر: خطوات التفسير البياني، البيومي، ص: 64.

[3] ينظر: الإعجاز البياني ومسائل نافع بن الأزرق، د. عائشة محمد عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ، ط: 3، دار المعارف، ص: 100.

[4] **الرُّماني**: أبو الحسن علي بن عيسى بن علي بن عبد الله الرماني النحوي المتكلم؛ أحد الأئمة المشاهير، جمع بين علم الكلام والعربية، وله تفسير القرآن الكريم ولد ببغداد سنة ست وتسعين ومائتين، وتوفي ليلة الأحد حادي عشر جمادى الأولى سنة أربع وثمانين، وقيل اثنتين وثمانين وثلاثمائة(ينظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان، ج:3، ص:299).

[5] ينظر: الإعجاز البياني، عائشة بنت الشاطئ، ص: 100. خطوات التفسير البياني، البيومي، ص: 121.

[6] ينظر: خطوات التفسير البياني، البيومي، ص: 204. الإعجاز البياني، عائشة بنت الشاطئ، ص: 100.

[7] ينظر: التفسير البياني، البيومي، ص: 230. اتجاهات التفسير، الرومي، ج: 3، ص: 874.

[8] **ابن عطية**: عبد الحق بن أبي بكر أبو محمد بن غالب بن عطية المحاربي الغرناطي الإمام، العلامة، شيخ المفسرين كان فقيهاً عالماً بالتفسير والأحكام والحديث والفقه والنحو واللغة والأدب، له تفسير "المحرر الوجيز" توفي في الخامس والعشرين من شهر رمضان، سنة إحدى وأربعين وخمس مائة (ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج: 19، ص: 588 .الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ابن فرحون، ج: 2، ص: 52).

وهكذا تتابعت المؤلفات، فكان كل مفسر أو بلاغي يدلي بدلوه وبما جادت به قريحته حتى أشرقت شمس:

العصر الحديث: الذي كان يَعدُ بالكثير لتفسير البياني، إذ قدم المفسرون فيه منهجا تجديديا، يعكس طبيعة المدارس الفكرية في هذا العصر، فكان الشيخ محمد عبده يُلقّن تلامذته أصول التفسير وقواعده؛ وقد كان من أولئك التلاميذ الين أحسنوا الإصغاء لشيخهم وأخذوا عنه الإمام محمد رشيد رضا؛ الذي نقل فيما بعد تلك القواعد في تفسيره "المنار" فهذا التفسير وإنْ خط فيه صاحبه قواعد المنهج البياني في التفسير غير أنَّه لم يلتزمه وكان لطابع الإصلاحي الاجتماعي أقرب.[1]

وليس ببعيد عن الإمام محمد رشيد رضا نجد أمين الخولي، وإنْ غلبت على تفسيره صبغة التفسير الموضوعي.

وعلى نهجه سارت زوجته وتلميذته الدكتورة عائشة بنت الشاطئ، التي وضعت بصمتها هي الأخرى من خلال مؤلفين بارزين؛ الأول: الإعجاز البياني ومسائل نافع بن الأزرق، والثاني: التفسير البياني.[2]

وفي ظلال هذا اللون من التفسير يستمر العطاء مع تفسيرين طار صيتهما في الآفاق؛ وكانا محل دراسة وتحليل، وهما: "في ظلال القرآن" لسيد قطب، الذي غذَّى تفسيره بالذوق الأدبي.[3]

وأمّا تفسير "التحرير والتنوير" لمؤلفه الشيخ الإمام الطاهر بن عاشور فيعتبر أيقونة التفاسير في العصر الحديث، "وهو تفسير حافل جامع في بابه، عني على وجه الخصوص بالبلاغة القرآنية والإعجاز"[4] وأبدع فيه الشيخ أيمَّا إبداع بما جاد به قلمه، واستثمر فيه علمه، وفقهه وفهمه.

وخلاصة الأمر: أن هذا البيان القرآني يجمع أمورا من جملتها النظم الفريد العجيب الحسن المخالف لأساليب العرب والصور البيانية التي تؤلف في أبدع تأليف، بين أفصح الألفاظ الجزلة وأصح المعاني الحسنة؛ كل هذا وغيره الكثير من مظاهر الإعجاز في القرآن العظيم، كان ومازال مصدر بحث لدا المفسرين والبلاغيين قديما وحديثا.

---

[1] ينظر: اتجاهات التفسير، الرومي، ج: 3، ص: 881.

[2] ينظر: تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، الخالدي، ص: اتجاهات التفسير، ص: 567.

[3] ينظر: اتجاهات التفسير، الرومي، ج: 3، ص: 881.

[4] مباحث في البلاغة وإعجاز القرآن الكريم، د. محمد رفعت أحمد زنجير، ط1: 1428هـ-2008م، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ص: 347.

المبحث الثاني: بين يدي سورة الحجّ

إنَّ القرآن الكريم كان منذ نزوله أشبه بالمعين الذي لا ينضب ماؤه أبدا، وأشبه بالنور الدائم سرمدا، فلتفّ حوله الصحابة رضوان الله عليهم ومن بعدهم يرتوون بمعينه ويقتبسون نوره، فكانت سوره وآيه محل دراسة وتدبّر، بفراسة وتفكّر وبقلوب نيّرة ونفوس خيّرة، فما كان للعلماء من بعدهم إلا إتباعهم بعلم وإحسان، و هنا سأقف بين يدي سورة الحج معرفة بها دون عدول ولا زيغ عما ذكره أؤلئك على ما سيأتي بيانه في هذا المبحث بإذن الله.

المطلب الأول: اسم السورة وبيان مكيها ومدنيها وعدد آياتها ومحورها العام

الفرع الأول: اسم السورة

هذه السورة الكريمة والتي سميت بسورة الحج وهو أحد أركان الإسلام الخمس مصداقا لقول المصطفى صلى الله عليه وسلم كما هو عند الشيخين عن ابن عمر، رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ**»[1].

ووجه تسميتها السورة بذلك أنَّ الله ذكر فيها كيف أمر إبراهيم عليه السلام بالدعوة إلى حجّ البيت الحرام، وذكر ما شرع للناس يومئذ من النسك، تنويها بالحج وما فيه من فضائل ومنافع، وتقريعا للذين يصدُّون المؤمنين عن المسجد الحرام.[2]

---

[1] أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب: الإيمان، باب: باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «بني الإسلام على خمس»، رقم الحديث:8، ج:1،ص: 11، وأخرجه مسلم، الجامع الصحيح، كتاب: الإيمان، باب: باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «بني الإسلام على خمس»، تحق: محمد فؤاد عبد الباقي، لا.ط، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت،ج: 1، ص: 45.

[2] ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج:17، ص: 179.

الفرع الثاني: بيان مكيها ومدنيها

اختلف العلماء اختلافا علا كعبه بينهم في بيان مكية السورة من مدنيها، مما حمل الإمام السيوطي(ت:911هـ) في إتقانه إلى إدراجها ضمن السور المختلف فيها.[1]

وبالرجوع إلى أقوال الأيمة المفسرين؛ فإنَّنا نجد بعضهم اعتبرها مكية ومنهم من اعتبرها مدنية، ومنهم من قال بمكيتها سوى آيات، ومنهم من قال بمدنيتها سوى آيات، ولعلّ الراجح ما ذهب إليه الجمهور كما نقله ابن عطية(ت:542هـ) والقرطبي(ت:671هـ) قولهم: "مختلطة فيها مكي ومدني وهذا هو الأصح والله أعلم لأن الآيات تقتضي ذلك".[2]

الفرع الثالث: عدد آياتها

قال الإمام الدّاني(ت: 444هـ) "وهي سبعون وأربع آيات في الشامي وخمس في البصري وست في المدنيين وسبع في المكي وثمان في الكوفي، وكلمها ألف ومائتان وإحدى وتسعون كلمة، وحروفها خمسة آلاف ومائة وخمسة وسبعون حرفا".[3]

الفرع الرابع: محورها العام

سورة الحجّ من السور المشتركة بين المكي والمدني كما تقدم، فموضوع الإيمان والتوحيد والإنذار والبعث ومشاهد القيامة وأهوالها...،هو الموضوع البارز في السورة، حتى ليكاد يحسب القارئ أنها مكية، وإلى جانب ذلك فالسورة حافلة بموضوعات تشريعية من الإذن

---

[1] ينظر: الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ج:1، ص: 61.

[2] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي(ت:542هـ)، تحق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط1: 1422هـ، دار الكتب العلمية – بيروت، ج: 4، ص: 105، الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله القرطبي (ت:671هـ)، تحق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2: 1384هـ/1964م، دار الكتب المصرية – القاهرة، ج: 12، ص: 1.

[3] البيان في عدّ آي القرآن، عثمان بن سعيد أبو عمرو الداني (ت: 444هـ)، تحق: غانم قدوري الحمد، ط1: 1414هـ/1994م، مركز المخطوطات والتراث – الكويت، ص: 189.

بالقتال والأمر بالجهاد في سبيل الله، وأحكام الحجّ والهدي، وغير ذلك من خصائص القرآن المدني.[1]

المطلب الثاني: الروايات الواردة في أسباب نزول السورة

روايات كثيرة تلك التي وردت في سبب نزول بعض آيات هذه السورة الكريمة، غير أنّني سأقتصر على ذكر ما صحّ منها؛ تجنبا للإطالة ولأن المقام لا يسمح بذلك.

أولا: قوله تعالى﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ١١﴾

أخرج البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿ **وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖ**﴾ قال: «**كان الرجل يقدم المدينة، فإن ولدت امرأته غلاما، ونتجت خيله، قال: هذا دين صالح، وإن لم تلد امرأته ولم تنتج خيله، قال: هذا دين سوء**».[2]

وبه قال البغوي (ت:510هـ)[3]و ابن كثير (ت:774هـ)[4]وغير واحد من المفسرين، و"أن الحديث المذكور سبب نزول الآية، لصحة سنده، وموافقته للسياق القرآني واتفاق المفسرين على معناه"[5].

ثانيا: قوله تعالى ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ١٩﴾

---

[1] ينظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، إعداد لجنة من علماء التفسير وعلوم القرآن بإشراف مصطفى مسلم، ط1: 1431هـ/2010م، كلية الدّارسات العليا والبحث العلمي جامعة الشارقة، ج: 5، ص: 76.

[2] أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب: التفسير، باب: ومن الناس من يعبد الله على حرف، رقم الحديث: 4742ج: 6، ص: 98.

[3] ينظر: معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت: 510هـ)، تحق: مجموعة محققين، ط4: 1417هـ/1997م، دار طيبة لنشر والتوزيع، ج: 5، ص: 365.

[4] ينظر: تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل ابن كثير الدمشقي (ت: 774هـ)، تحق: سامي بن محمد سلامة، ط2: 1420هـ/1999م، دار طيبة لنشر والتوزيع –، ج: 5،ص: 400.

[5] المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية، خالد بن سليمان المزيني، ط1: 1427هـ/2006م، دار ابن الجوزي، الدمام – المملكة العربية السعودية –، ج: 2، ص: 699.

أخرج الشيخان وغيرهما عن أبي ذرٍّ ﷺ أنَّه كان يقسم قسما: أنَّ هذه الآية: ﴿**هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡ**﴾ «**نزلت في الذين برزوا يوم بدر: حمزة، وعلي، وعبيدة بن الحارث، وعتبة، وشيبة، ابني ربيعة، والوليد بن عتبة**».[1]

فالحديث المذكور هو سبب نزول الآية كما ذهب إليه طائفة من أهل العلم، وبه قال القرطبي في تفسيره.[2]

وذهب بعض أهل العلم إلى أن الآية تتناول المؤمنين والكافرين عموما وإن كانت صورة السبب تدخل في العموم دخولا أوليا، واختار هذا الطبري.[3]

قال الطبري بعد ذكر الأقوال ما نصه: "وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب وأشبهها بتأويل الآية قول من قال: عنى بالخصمين جميع الكفار من أي أصناف الكفر كانوا وجميع المؤمنين وإنما قلت ذلك أولى بالصواب لأنه تعالى ذكره، ذكر قبل ذلك صنفين من خلقه: أحدهما أهل طاعة له بالسجود له، والآخر: أهل معصية له قد حق عليه العذاب".[4]

وذهب المزيني بعد تحرير المقال في هذا السبب أنَّ الحديث ليس سببا لنزول الآية فقال: "أن الآية نزلت تتحدث عن الخصومة بين المؤمنين والكافرين، وليس لها سبب معلوم، كالمصطلح عليه، وذلك لدلالة السياق على ذلك، واختيار أكثر المفسرين له والله أعلم".[5]

---

[1] أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب: المغازي، باب: قتل أبي جهل، رقم الحديث: 3969، ج: 5، ص: 75. أخرجه مسلم، الجامع الصحيح، كتاب: التفسير، باب: قوله تعالى ﴿**هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡ**﴾ ، رقم الحديث: 3033، ج: 4، ص: 2323.

[2] ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج: 12، ص: 25.

[3] المحرر في أسباب النزول، المزيني، ج: 2، ص: 701.

[4] جامع البيان ، الطبري: ج: 18، ص: 590.

[5] المحرر في أسباب النزول، المزيني، ج: 2، ص: 703.

المطلب الثالث: المناسبات في السورة

الفرع الأول: مناسبة السورة لما قبلها

بين سورتي الأنبياء والحجّ تناسب واضح وذلك ظاهر من وجهين:

الأول: فمناسبة أول السورة الحجّ لما قبلها أنه ﷻ لما ذكر حال الأشقياء والسعداء وذكر الفزع الأكبر وهو ما يكون يوم القيامة، وقد كان مشركو مكة قد أنكروا المعاد وكذبوه بسبب تأخر العذاب عنهم نزلت هذه السورة تحذيرا لهم وتخويفا لما انطوت عليه من ذكر زلزلة الساعة وشدة هولها.[1]

الثاني: أنّه لما افتتحت سورة الأنبياء بقوله تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ۝١﴾ **[الأنبياء:1]** كان وارداً في معرض التهديد، وتكرر في مواضع منها كقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ **[الأنبياء: 47]** إلى ما تخلل هذه الآي من التهديد والوعيد، حتى لا تكاد تجد أمثال هذه الآي في الوعيد والإنذار بما في الساعة وما بعدها وما بين يديها في نظائر السورة الأنبياء، وقد ختمت من ذلك بمثل ما به ابتدئت؛ اتصل بذلك ما يناسبه من الإعلام بهول الساعة وعظيم أمرها، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ۝١﴾.[2]

وبين آخر الأنبياء وأول وبداية الحج تناسب؛ فلما ختمت الأنبياء بوصف الساعة، افتتحت الحج بالحديث عن أحوالها وأهوالها.[3]

الفرع الثاني: المناسبة بين مطلع السورة وخاتمتها

---

[1] ينظر: البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي (تـ: 745هـ)، تحق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، ج: 7، ص: 480.

[2] ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (تـ: 885هـ)، لا. ط، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ج:13، ص: 2.

[3] ينظر: أسرار ترتيب القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (تـ: 911هـ)، لا.ط، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، ص: 111.

إنَّ السورة افتتحت بنداء واختتمت بمثله قال ابن عاشور: "وفي افتتاح السورة بـ: يا أيها الناس وتنهيتها بمثل ذلك شبه برد العجز على الصدر، ومما يزيده حسنا أن يكون العجز جامعا لما في الصدر وما بعده، حتى يكون كالنتيجة للاستدلال والخلاصة للخطبة والحوصلة للدرس".[1]

الفرع الثالث: مناسبة السورة لما بعدها

لما ختمت الحجّ بنداء الذين آمنوا وتوجيههم وأمرهم بأمور الدين خاصة وعامة، وختم بالصلاة والزكاة والجهاد في سبيل الله وفعل الخيرات والعصمة به سبحانه، فلمَّا كان لابد من معرفة ثواب من يلتزم بهذه الصفات، فابتدأت بعدها سورة المؤمنون بما يثمر الاعتصام به سبحانه في الصلاة وغيرها من خلال الدين في الدارين، فقال تعالى مفتتحاً بحرف التوقع﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ **[المؤمنون: 1]** فوعدت بالفلاح، والفردوس الأعلى في جنات النعيم، وهذا هو الكرم الرباني والثواب العظيم.[2]

[1] التحرير والتنوير، ابن عاشور: ج: 17،ص: 338.

[2] ينظر: نظم الدرر، البقاعي، ج: 13، ص: 105. التفسير الموضوعي، مجموعة من العلماء، ج: 5، ص: 123.

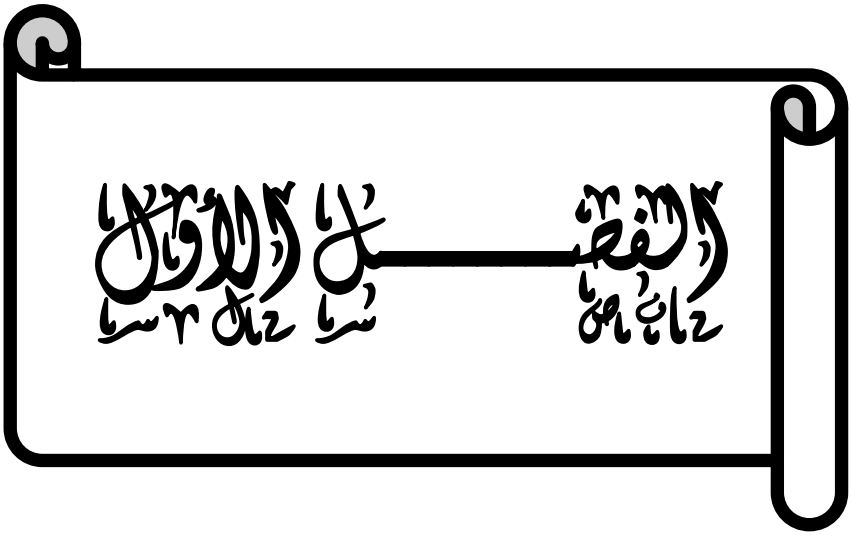
الفصل الأول

الفصل الأول:بلاغة اللفظة القرآنية في سورة الحجِّ

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: بلاغة حروف المعاني, وفيه ثلاث مطالب:

المطلب الأول: حروف الجرِّ

المطلب الثاني: حروف العطف

المطلب الثالث: الأحرف المشبهة بالفعل

المبحث الثاني: ألفاظ تفردت بها سورة الحجّ وفيه أربع مطالب:

المطلب الأول: الفعل تذهل

المطلب الثاني: ثاني عطفه

المطلب الثالث: لفظة التفث

المطلب الرابع: البيت العتيق

المبحث الثالث: بلاغة الفاصلة القرآنية في السورة, وفيه مطلبان:

المطلب الأول: جرس الفاصلة

المطلب الثاني: الفواصل المنتهية بأسماء الله الحسنى

المبحث الأول: من بلاغة حروف المعاني

تعدُّ حروف المعاني[1]مرفئاً مهمًّا من مرافئ الإعجاز البياني في القرآن الكريم؛ فهي تعتبر مدخلا جوهريا لفهم النصوص، ومعرفة دلالتها وظلالها، وأحد المنطلقات الأساسية في الكشف عن أسرار البيان القرآني ومظهراً من مظاهر معرفة بلاغة الأسلوب في التنزيل الخالد وتتسم حروف المعاني بالتنوع من حيث معانيها ووظائفها النحوية وبنيتها ومدلولاتها البلاغية وهذه الأخيرة سأحاول التركيز عليها في ضوء سورة الحجِّ.

المطلب الأول: حروف الجرِّ

وتسمى أيضا بحروف الإضافة وقالوا سُميت بذلك لأنَّها تضيف معاني الأفعال إلى الأسماء أي توصلها إليها،[2]و هي من الملامح البلاغية البارزة في سورة الحجِّ، فبالإضافة إلى كونها عنصرا هاماً وحيويا في الربط بين عناصر التركيب النحوي؛ فإنّها تعتبر عنصرا وظيفيا في التراكيب والدلالات البلاغية ومن ذلك:

أولا: الباء: وهو "حرف مختصٌ بالاسم، ملازم لعمل الجر،"[3] ومعناها الرئيس هو الإلصاق وما ذكر لها من معان أخرى تحتمل هذا المعنى،[4]وقد وردت في هذه السورة الكريمة في مواضع كثيرة[5]وبمعان متعددة، ففي قوله تعالى ذكره ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٦﴾ فقد أتت بمعنيين كل منهما محتمل؛ قال ابن عاشور: "والباء للسببية فالمعنى: تكون ذلك الخلق من تراب وتطور، وتكون إنزال الماء على الأرض الهامدة والنبات البهيج بسبب أن الله هو الإله الحق دون غيره. ويجوز أن تكون الباء للملابسة، أي كان ذلك الخلق وذلك الإنبات البهيج ملابسا لحقية إلهية الله.

---

(1) **حروف المعاني**: أو حرف المعنى: ما كان له معنى لا يظهر إلا إذا انتظم في الجملة: كحروف الجر والاستفهام والعطف، وغيرها(ينظر: جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني، ج: 3، ص:253).

(2) ينظر: معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي، ط1: 1420هـ-2000م، دار الفكر لطباعة والنشر والتوزيع الأردن ، ج: 3، ص: 5.

(3) الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن قاسم المراوي، تحق: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، ط1: 1413هـ-1992م، دار الكتب العلمية بيروت، ص: 36.

(4) ينظر: الكتاب، عمرو بن عثمان الملقب بسيبويه(ت: 180هـ)، تحق: عبد السّلام محمد هارون، ط: 3، مكتبة الخانجي القاهرة 1408 هـ - 1988 م، ج: 1، ص: 38.

(5) **مواضع الآيات هي**: 2، 3، 6، 8، 10: في موضعين، 11، 15، 20، 25، 26، 27، 29، 31 في موضعين، 39، 40 في موضعين، 46 في موضعين، 47، 54، 57، 60، 61، 62، 65 في ثلاث مواضع، 68، 71موضعين، 72 موضعين 78.

وهذه الملابسة ملابسة الدليل لمدلوله، وهذا أرشق من حمل الباء على معنى السببية وهو أجمع لوجوه الاستدلال".[1]

وقد أتت الباء بمعنى السببية في قوله تعالى ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾﴾ والمعنى: هذا العذاب الذي يذيقكه الله حصل لك بسببين؛ وهما: ما قدمته يداك من عمل السوء من الكفر والمعاصي، وعدالة من جازاك ذلك الجزاء الوفاق، وعدم ظلمه.[2]

وأمَّا الباء في قوله تعالى ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ فالأولى في "بإلحاد" زائدة التوكيد، كقوله تعالى ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [المؤمنون: 20] أو للتعدية لتضمينه معنى (يتلبس)،[3] والثانية "بظلم" للملابسة،[4]وقيل: الباء الثانية للسببية.[5]

وفي قوله تعالى ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ الباء في ﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ﴾ للمصاحبة والمعية؛ أي: غير مشركين معه غيره، والباء في ﴿أَوْ تَهْوِى بِهِ﴾ للتعدية مثل: ذهب به.[6]

وفي قوله جلَّا ذكره وتقدَّست أسماءه ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾ فالباء من قوله ﴿بِٱلْعَذَابِ﴾ زائدة لتأكيد معنى الاستعجال بشدته كأنه قيل يحرصون على تعجيله، كما في قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ﴾ [الرعد: 6].[7]

---

(1) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج: 17، ص: 204.

(2) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي (ت:1393هـ)، لا.ط، دار الفكر لطباعة والنشر والتوزيع بيروت-لبنان، ج: 4، ص: 282.

(3) محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي (ت: 1332هـ)، تحق: غانم قدوري الحمد، ط1: 1418هـ، دار الكتب العلمية بيروت، ج: 7، ص: 240.

(4) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج: 17، ص: 239.

(5) ينظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت:982هـ)، لا.ط، دار إحياء التراث العربي-بيروت، ج: 6، ص: 103.

(6) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج: 17، ص: 254-255.

(7) ينظر: المصدر السابق، ج: 17، ص: 291

ومعنى السببية حاضر أيضا في قوله تعالى ﴿ ۞ ذَٰلِكَ ۖ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ﴾ فالباء في الموضعين قيل للسبب لا للآلة.[1]

إذاً فالباء كانت في كل مرة تظهر بمعنىً أو أكثر مخالفا لغيره، بحسب الفعل الذي تتعدى به، وبحسب السياق والتركيب الواردة فيه، فمن المعاني التي أتت بها في سورة الحجّ: السببية والآلة والظرفية والمعية والمصاحبة...إلخ، كما أنَّها جاءت أصلية وزائدة وإن كان المقام لا يسع للوقوف مع كل آية على حدة. :

ثـانيا: مـــن: بكسر الميم وهي من حروف الجرّ ولها معان كثيرة أشهرها ابتداء الغاية نحو قوله سبحانه وتعالى ﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ﴾ **[الإسراء: 1]**،[2]ولكن الأحسن أنْ يقال: هي للابتداء عموما لا لابتداء الغاية،[3]وقد تكررت في سورة الحجّ في مواضع كثيرة[4] منها: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ﴾

وقد ورد حرف الجر "من" فيها تسع مرات، وهذا التكرار يستدعي التَّأمل والنظر في سرّ تكرره بهذا العدد.

---

(1) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: 1270هـ)، تحق: علي عبد الباري عطية، ط1: 1415هـ، حار الكتب العلمية-بيروت، ج: 9، ص: 180. دراسات في أسلوب القرآن الكريم، عبد الخالق عضيمة، لا.ط، دار الحديث-القاهرة، ج: 2، ص: 8.

(2) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي، ص: 308.

(3) ينظر: معاني النحو، السامرائي، ج: 3، ص: 75-76.

(4) **مواضع الآيات هي:** 3، 5: تسع مواضع، 8، 11، 12، 14، 18: موضعين، 19: موضعين، 21، 22: موضعين، 23: ثلاث مواضع، 24، 25: موضعين، 27، 28: موضعين، 30، 31، 32، 34، 35، 36،: موضعين، 37، 40، 45، 48، 52: موضعين، 55، 62، 63، 71: موضعين، 72، 73: موضعين، 75: موضعين، 78: موضعين.

فمن في قوله تعالى ﴿إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ﴾ ابتدائية متعلقة بمحذوف وقع صفة للريب، واستظهر أن المراد في ريب من إمكان البعث لأنه الذي يقتضيه ما بعد، وجُوّز أن يكون المراد من وقوع البعث.[1]

ومن المكررة أربع مرات في قوله تعالى ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ﴾ ابتدائية وتكريرها توكيد.[2]

وقوله تعالى ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ﴾ معناه: إنا خلقنا أصلكم وهو آدم عليه السلام من تراب، لقوله عز وجل: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩﴾ **[آل عمران: 59]**.[3]

وقد ذكر تعالى في هذه الآية الكريمة أطوار خلق الإنسان، فبين أن ابتداء خلقه من تراب وهذا الذي ذكره جل وعلا في هذه الآية الكريمة من الاستدلال على كمال قدرته على بعث الناس بعد الموت وعلى كل شيء، بنقله الإنسان من طور إلى طور، من تراب، ثم من نطفة، ثم من علقة إلى آخر الأطوار المذكورة.[4]

ومن في قوله سبحانه ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ فهي في الموضعين قد اتصلت بضمير الجمع وقد أتت لتبعيض.

وأمَّا من في قوله ﴿مِنۢ بَعْدِ﴾ قال ابن عاشور ما ملخصه: "ومن الداخلة على بعد هنا مزيدة للتأكيد... من عدم انحصار زيادة (من) في خصوص جر النكرة بعد نفي وشبهه، أو هي للابتداء عند الجمهور وهو ابتداء صوري يساوي معنى التأكيد ولذلك لم يؤت ب (من) في قوله تعالى: ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ **[سورة النحل: 70]** والآيتان بمعنى واحد فذكر (من) هنا تفنن في سياق العبرتين".[5]

ونختم الآية بمن في قول العليّ الكريم ﴿وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٥﴾ فهي في هذا الموضع أتت لبيان امتنان الله جلّ جلاله على عباده والله أعلم.

---

[1] ينظر: روح المعاني، الألوسي، ج: 9، ص: 111.

[2] التحرير والنوير، ابن عاشور، ج: 17، ص: 197.

[3] ينظر: التفسير الكبير، الفخر الرازي، ج: 23، ص: 203.

[4] أضواء البيان، الشنقيطي، ج: ، ص: 270.

[5] التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج: 17، ص: 202.

واللافتُ في هذه السورة الكريمة أنَّ "من" الجارّة وقعت قبل لفظ "الناس" وهو اسم جنس في خمس مواضع وهي قوله تعالى ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾ في موضعين، وقوله سبحانه ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖ﴾ وقوله أيضا ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُ﴾ وقوله جلَّ وعلا ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٧٥﴾ ففي هذه الآيات وردت "من" لتبعيض.

ففي الآيتين الأولى والثانية تصف أولئك المجادلين في آيات الله بغير علم، فذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أن من الناس بعضا يجادل في الله بغير علم؛ أي: يخاصم في الله بأن ينسب إليه ما لا يليق بجلاله وكماله، كالذي يدعي له الأولاد والشركاء،[1] بل قيل: المراد النضر بن الحارث[2] قال: إن الله عز وجل غير قادر على إحياء من قد بلي وعاد ترابا،[3] والتكرير للمبالغة في الذم، ويجوز أن يكون التكرير لأنه وصفه في كل آية بزيادة.[4]

وفي الآية الثالثة وصف لفريق الناس يدخلون في الإسلام على طرف؛ فإنْ رأوا ما يسرهم بقوا على دين محمد ﷺ، وإنْ أصابهم ما يكرهون تركوه، كما جاء في سبب نزول هذه الآية.[5]

وأمَّا عن الآية الرابعة ففيها بيان أنّ الخلق كله منقاد مذعنٌ لرب العالمين، بسجودهم له، وبيّن سبحانه أصنافهم حتى أتى على ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ وفيه بيان للذين اهتدوا إلى طريق الحق، أيْ:

---

(1) ينظر: أضواء البيان، الشنقيطي، ج: 4، ص: 260.

(2) **النضر بن الحارث**: النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة، بفتح الكاف، ابن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي القريشي العبدري، كان له اطلاع على كتب الفرس وغيرهم، قرأ تاريخهم في " الحيرة "، أُسر يوم بدر، وقُتل كافرًا، قَتله على بن أبي طالب ﷺ بأمر رسول الله ﷺ، وأجمع أهل المغازي والسير على أنه قُتل يوم بدر كافرًا، وإنما قتل لأنه كان شديد الأذى للإسلام والمسلمين(ينظر: تهذيب الأسماء واللغات، النووي، ج: 1، ص: 672).

(3) ينظر: جامع البيان، الطبري، ج: 18، ص: 566. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج: 12، ص: 5. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج: 5، ص: 394. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، لا.ط، دار الفكر-بيروت، ج: 6، ص: 8.

(4) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج: 12، ص: 15.

(5) قد سبق وأن ذكرت القصة في سبب نزول هذه الآية فلا مسوغ لإعادته، ينظر:ص: 14.

ويسجد له ـ كذلك ـ كثير من الناس، وهم الذين خلصت عقولهم من شوائب الشرك والكفر، وطهرت نفوسهم من الأدناس والأوهام.[1]

وفي الآية الخامسة بيان لاصطفاء الله تعالى رسلاً من صفوة خلقه من الملائكة كجبريل عليه السلام، ويصطفي رسلاً من الناس وهم الأنبياء اللذين اختارهم أيضا من صفوة عباده فيرسل الملك إلى النبي والنبي إلى الناس.[2]

وإذا كانت "من" فيما سبق للتبعيض؛ فما المعنى الذي جاءت به في قوله سبحانه: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ ؟

قيل: الأولى في ﴿مِنْ أَسَاوِرَ﴾ للتبعيض والثانية ﴿مِن ذَهَبٍ﴾ لابتداء الغاية،[3]وقيل: الأولى لبيان الجنس ويحتمل أنْ تكون للتبعيض.[4]

وقيل: "من" زائدة لدخولها على نكرة والتقدير: يحلون فيها أساورَ ولؤلؤا،[5] وأيدَّ الإمام ابن عاشور هذا التوجيه وتحدث عن سرّ زيادتها بقوله: "و(من) في قوله ﴿مِنْ أَسَاوِرَ﴾ زائدة للتوكيد؛ ووجهه أنه لما لم يعهد تحلية الرجال بالأساور كان الخبر عنهم بأنهم يحلون أساور معرضا للتردد في إرادة الحقيقة فجيء بالمؤكد لإفادة المعنى الحقيقي، ولذلك فأساور في موضع المفعول الثاني ل يحلون."[6]

وما ذُكر من دلالات بلاغية لحرف الجر "من" لا يعد سوى شيء يسير جداً.

---

(1) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، ط1، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة 1998، ج: 9، ص: 293.

(2) ينظر: زهرة التفاسير، د. محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت: 1394هـ)، لا.ط، دار الفكر العربي، ج: 9، ص: 5032.

(3) ينظر: دراسات في أسلوب القرآن الكريم، عضيمة، ج: 3، ص: 346.

(4) المحرر الوجيز، ابن عطية، ج: 4، ص: 115.

(5) ينظر: الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية المتواترة، أ.د. أحمد بن محمد الخراط، لا.ط، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف-المدينة المنورة 1426هـ، ص: 208.

(6) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج: 17، ص: 232.

المطلب الثاني: حروف العطف

العطف أسلوب من الأساليب النحوية، يقوم على تحقيقه مجموعة من الأحرف، لكل واحد منها معنى أو أكثر يميزه عن إخوانه، لكنَّ السّمة التي تجمعها أنَّها تعد أهمّ أدوات الربط بين الكلمات والجمل لذلك ترى بعضهم يسميها بحروف النسق[1]، وفيما يلي وقفة مع حرفين من هذه الحروف في سورة الحجّ.

أولا: ثمَّ حرف عطف، يشرك في الحكم، ويفيد الترتيب والتراخي ومعنى التراخي المهلة،[2] وقد اهتمَّ العلماء بيان معانيها في النصوص القرآنية، فكشفوا النقاب عن جوانبها البلاغية وظلالها الجمالية،[3] وقد وردت في السورة في أربع عشرة موضعاً[4] من ذلك:

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٥﴾

هذه هي الآية الخامسة في السورة، وقد ورد فيها حرف العطف ثُمَّ خمس مرات، ثلاثة منها لعطف الجار والمجرور على مثله؛ وهي قوله تعالى: ﴿فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ﴾ قال ابن عاشور:"و(ثم) التي عطف بها... عاطفة مفردات فهي للتراخي الحقيقي"،[5] أي: خلقناكم على هذا النمط البديع لنبين لكم ما لا يحصره العبارة من الحقائق والدقائق التي من جملتها أمر البعث فإن من تأمل فيما ذكر من الخلق التدريجي جزم بأنَّ من خلق البشر قادر على إعادتهم، بلْ هو أهون في القياس.[6]

---

[1] ينظر: جامع البيان، الطبري، ج: 18، ص: 616.

[2] ينظر: الجنى الداني، المرادي، ص: 426. معاني النحو، السامرائي، ج: 3، ص: 237.

[3] ينظر: الأدوات النحوية في كتب التفسير، د. محمود أحمد الصغير، ط1: 1422هـ-2001م، دار الفكر دمشق-دار الفكر المعاصر بيروت، ص: 571.

[4] مواضع الآيات: 5 خمس مواضع، 15، 29، 33، 44، 48، 58، 60، 66.

[5] التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج: 17، ص: 197.

[6] ينظر: روح المعاني، الألوسي، ج: 9، ص: 112.

وقد عَطفت ثمَّ في نفس الآية بين جمليتين فعليتين في قوله تعالى ﴿وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ﴾ فجملة ﴿وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ استئناف مسوق لبيان حالهم بعد تمام خلقهم وتوارد الأطوار عليهم[1].

وعطف جملة ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ بحرف (ثم) للدلالة على التراخي الرتبي فإن إخراج الجنين هو المقصود.

وجملة ﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ﴾ مرتبطة بجملة ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ ارتباط العلة بالمعلول، واللام للتعليل. والمعلل فعل (نخرجكم)، وحرف (ثم) في الموضعين للتأكيد.[2]

وقوله تبارك وتعالى ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾ قال ابن عاشور: "(ثم) هنا عطفت جملة على جملة فهي للتراخي الرتبي لا الزمني فتفيد أن المعطوف بها أهم في الغرض المسوق إليه الكلام من المعطوف عليه. وذلك في الوفاء بالنذر والطواف بالبيت العتيق ظاهر إذ هما نسكان أهم من نحر الهدايا".[3]

وفي قوله عزَّ وجلّ ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾﴾ قال الزمخشري: " ثُمَّ للتراخي في الوقت، فاستعيرت للتراخي في الأحوال."[4]

وقيل: ثُمَّ تحتمل التراخي في الوقت والتراخي في الرتبة، أي لكم فيها منافع دنيوية إلى وقت نحرها ثم منافع دينية أعظمها في النفع محلها أي وجوب نحرها أو وقت وجوب نحرها إلى البيت العتيق.[5]

وقيل: "ثمَّ للتراخي في الوقت فاستعيرت للتراخي في الأفعال".[6]

فمعنى التراخي حاصل لا محالة في هذا الحرف.

---

[1] ينظر: روح المعاني، الألوسي، ج: 9، ص: 113.

[2] ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج: 17، ص: 200.

[3] المصدر نفسه، ج: 17، ص: 248.

[4] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد جار الله الزمخشري (ت: 538هـ)، ط3: 1407هـ، دار الكتاب العربي-بيروت، ج: 3، ص: 157.

[5] ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: 685هـ)، تحق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط1: 1418هـ، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ج: 4، ص: 71.

[6] البحر المحيط، ابن حيان، ج: 7، ص: 507.

ثانيا: الفاء وأصول أقسام الفاء ثلاثة: عاطفة، وجوابية، وزائدة؛[1] وسنقتصر في هذه الجزئية على الفاء العاطفة، وهي من الحروف التي تشرك في الإعراب والحكم، وتفيد الترتيب والتعقيب، وقد تأتي لعطف المفصل على المجمل كما في قوله تعالى ﴿فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ **[النساء:153]**.[2] وقد تكررت في مواضع كثيرة في هذه السورة الكريمة[3] منها:

الفاء المختلف فيها بين أن تكون عاطفة أو أن تكون للجواب في قوله تعالى ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝٤﴾

فذكر الزجاج[4] أنَّها للعطف وتعقبه بقوله: " والفاء الأجود فيها أن تكون في معنى الجزاء"،[5] فإن كانت الفاء في الآية للعطف؛ فيكون العطف لتوكيد فعل "تولاه".[6]

وأحسن الأقوال ما قاله بعضهم أنَّ جملة﴿فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ﴾: "على أنه خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ خبره محذوف والجملة جواب الشرط إن جعلت من شرطية وخبر لها إن جعلت موصولة متضمنة لمعنى الشرط أي من تولاه فشأنه أنه يضله عن طريق الجنة أو طريق الحق أو فحق أنه يضله قطعا وقيل فإنّه معطوف على أنه وفيه من التعسف مالا يخفى."[7]

قوله تبارك وتعالى: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ۝٤٥﴾

---

(1) الجنى الداني، المرادي، ص: 61.

(2) ينظر: الجنى الداني، ص: 61. معاني النحو، السامرائي، ج: 3، ص: 231.

(3) مواضع الآيات: 5، 11، 15، 28، 30، 31، 34، 36، 44 موضعين، 45 موضعين، 46 ثلاث مواضع، 50، 52، 54 موضعين، 56، 57، 63، 67، 72، 73، 78. التي لا خلاف في كون الفاء فيها للعطف.

(4) **الزجاج**: إبراهيم بن السريّ بن أبو سهل إسحاق الزّجّاج النحويّ، عالم باللغة والنحو صاحب كتاب معاني القرآن والاشتقاق والمثلث في اللغة توفّى الزجّاج في جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة وثلاثمائة (ينظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة، القفطي، ج: 1، ص: 198).

(5) معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت: 311هـ)، تحق: عبد الجليل عبده شلبي، ط1: 1408هـ/1988م، عالم الكتب-بيروت، ج: 3، ص: 411.

(6) ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت: 710هـ)، تحق: يوسف علي بديوي، ط1: 1419هـ/1998م، دار الكلم الطيب، بيروت، ج: 2، ص: 428.

(7) إرشاد العقل السليم، إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، ج: 6، ص: 93.

وظفت الفاء في الآية مرتين:

الأولى: ﴿فَكَأَيِّن﴾ فالفاء هنا للاستئناف،[1] فعطفت جملة ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ على جملة ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾ بفاء التفريع، والتعقيب في الذكر لا في الوجود؛ لأن الإملاء لكثير من القرى ثم أخذها بعد الإملاء لها يبين كيفية نكير الله وغضبه على القرى الظالمة ويفسره فناسب أن يذكر التفسير عقب المفسر بحرف التفريع.[2]

الثانية: ﴿فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾عطف على﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾، فيجوز أن تكون في محل رفع لعطفها على الخبر، أو أن لا تكون لها محل لعطفها على الجملة المفسرة. [3]

وبين هذه الآية أي قوله تعالى﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾﴾ وقوله تعالى بعدها ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾﴾ تشابه كبير ولكن ما هو الفرق بينهما؟

فالجواب كما ذكره ابن الزبير الغرناطي[4]:

أن الآية الأولى تنزلت على ما ذكر قبلها ممن أهلك من القرون والأمم السالفة بتكذيبهم للرسل، ممن قال فيهم بعد تفصيل ذكرهم: ﴿وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ ۖ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾﴾.

وأما الآية الثانية فوقع قبلها ذكر استعجالهم العذاب تكذيباً واستبعاداً في قوله تبارك تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ ، فعرفوا بأن تأخيره عنهم إملاء للمكذبين به قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾ **[آل عمران: 178]**.

---

(1) ينظر: الجدول في إعراب القرآن الكريم وصرفه وبيانه، محمود صافي، ط3: 1416هـ/1995م، دار الرشيد–دمشق مؤسسة الإيمان–بيروت، ج: 9، ص: 150.

(2) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج: 17، ص: 285.

(3) ينظر: اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي (ت: 775هـ)، تحق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ط1: 1419هـ/1998م، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، ج: 14، ص: 108.

(4) **ابن الزبير الغرناطي**: أحمد بن إبراهيم بن الزّبير بن محمد بن إبراهيم بن الزّبير بن الحسن بن الحسين الثقفيّ العاصمي الجيّاني المولد، الغرناطيّ المنشأ، كان محدثا جليلا، ماهرا، نحويا، فصيحا، مفوّها حسن الخطّ، مقرئا مفسرا مؤرخا، من تصانيفه: ملاك التأويل في متشابه اللفظ من التنزيل والبرهان في ترتيب سور القرآن...إلخ، مات يوم الثلاثاء ثامن ربيع الأول سنة ثمان وسبعمائة (ينظر: طبقات المفسرين، الداودي، ج: 1، ص: 28).

وقيل في حالهم في التكذيب واستبعاد وقوع العذاب، قد جرى لمن قبلهم من المكذبين ثم جاءهم ما كذبوا به وحلَّ بهم ما استبعدوه، فاستعجالهم العذاب أوجب تعريفهم بحال غيرهم ممن ناسب حالهم لعلهم يتذكرون...والله أعلم".[1]

أمَّا الفاء في قوله تعالى﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾﴾

الفاء في قوله تعالى ﴿فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ عاطفة لا سببية لأن الاستفهام تقريري كما قدمنا مؤول بالخبر أي قد رأيت والخبر لا جواب له وأيضا لا تصح السببية هنا فإن الرؤية لا يتسبب عنها اخضرار الأرض بل إنما يوجبه إنزال الماء بعد أن تصبح.[2]

وجوَّز بعضهم أن تكون الفاء لمحض السبب فلا تعقيب فيها.[3]

وهذا القول ضعفه كثير من المفسرين بتوجيه الرفع في فعل "تصبحُ" فقالوا: "أمَّا الرفع في قوله: فتصبح ; فلأنه ليس مسببا عن الرؤية التي هي موضع الاستفهام، وإنما هو مسبب الإنزال في قوله: أنزل، والإنزال الذي هو سبب إصباح الأرض مخضرة ليس فيه استفهام، ومعلوم أن الفاء التي ينصب بعدها المضارع إن حذفت جاز جعل مدخولها جزاء للشرط، ولا يمكن أن تقول هنا: إن تر أن الله أنزل من السماء ماء، تصبح الأرض مخضرة؛ لأن الرؤية لا أثر لها البتة في اخضرار الأرض، بل سببه إنزال الماء لا رؤية إنزاله" [4].

---

[1] ينظر: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي(ت: 708هـ)، تحق: عبد الغني محمد علي الفاسي، لا.ط، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ج: 2، ص: 360.

[2] ينظر: إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت : 1403هـ)، ط4: 1415هـ، دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية، ج: 6، ص: 472.

[3] روح المعاني، الألوسي، ج: 9، ص: 182.

[4] أضواء البيان، الشنقيطي، ج: 5، ص: 295.

المطلب الثالث: الأحرف المشبهة بالفعل

وهي من أهم العناصر الفاعلة التي تدخل على الجملة الاسمية، فينصب بها المبتدأ ويرفع الخبر، وهي ستة أحرف: إنَّ وأنَّ ولعلَّ وليت ولكنَّ وكأن،[1] وما ورد منها في سورة الحجِّ أربع وهنَّ: إنَّ وأنَّ ولكنَّ وكأنَّ؛ وعلى الأولى والثانية سيكون تركيزي في هذا المطلب بالنظر لكثرة ورودهما في هذه السورة.

فهذا التكرار لـ: أنّ وإنّ كان الميزة البارزة للأسلوب التوكيد في السورة؛ فأصبحت السورة كما أشار أحد الباحثين تمتاز بظاهرة التوكيد،[2] وهذا الأسلوب كما يعرفه الجرجاني بقوله: "حد التأكيد أن تحقق باللفظ معنى قد فهم من لفظ آخر قد سبق منك، أفلا ترى: أنه إنما كان "كلهم" في قولك: "جاءني القوم كلهم" تأكيدا من حيث كان الذي فهم منه، وهو الشمول" [3].

ولئن كان التوكيد هو المعنى الطاغي على استعمال هذين الحرفين في السورة؛ فإنَّ هنالك معان أخرى ستبينها الأمثلة المختارة، ولكن قبل ذلك سنقف مع إحصاء لورودهما في السورة فـ"إنَّ" وردت في اثنين وثلاثين موضعاً،[4] وأمَّا "أنَّ" فجاء ورودها في تسعة عشرة موضعا [5].

فمعنى التوكيد واقع في قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ١﴾ كما يفيده حرف التوكيد الواقع في مقام خطاب لا تردد للسامع فيه [6].

وفي قوله تعالى ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ٧﴾

---

[1] ينظر: معاني النحو، السامرائي، ج: 1، ص: 285.

[2] سورة الحجّ دراسة نحوية وصرفية، إبراهيم عبد السلام أديبولو(رسالة مقدمة لنيل الماجستير في اللغة العربية)، جامعة أم القرى- المملكة العربية السعودية، 1415هـ/1995م، ص:393.

[3] دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت: 471هـ)، تحق: محمود محمد شاكر، ط3: 1413هـ/1992م، مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، ص: 230.

[4] **مواضع الآيات**: 1، 5، 14: موضعين، 17: ثلاث موضع، 18، 23، 25، 32، 38: موضعين، 39، 46، 47، 49، 53. 54، 59، 60، 63، 64، 65، 66، 67، 70ك موضعين، 73، 74، 75.

[5] **مواضع الآيات**: 4: موضعين، 6: ثلاث مواضع، 7ك موضعين، 10، 18، 39، 54، 61: موضعين، 62: ثلاث مواضع، 63، 65، 70.

[6] ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج: 17، ص: 186. روح المعاني، الألوسي، ج: 9، ص: 106.

تكررت "أنَّ" خمس مرات للتأكيد على أنَّ سبحانه وتعالى هو الحق المبين وأنَّه قادر على إحياء الموتى، وأنَّ الساعة آتية لا محالة؛ "وإيثار صيغة الفاعل على الفعل للدلالة على تحقيق إثباتها وتقريره البتة لإفضاء الحكمة إياه"،[1] وأنَّه سيبعث من القبور.

فهذه الجمل الخمس صدِّرت بـ"أنَّ"؛ لأنَّ سياق الآيات في معرض إقامة الحجة على منكري البعث، فذكر سبحانه وتعالى خمسة أمور لتحقيق حِقية البعث والبراهين عليه.

وكذلك التوكيد في مثل قوله تعالى﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ١٧﴾

فإنَّ التي صدرت بها الآية استئنافية، لبيان أحوال الأمم واختلافه مللهم، وأمَّا الثانية فقد قال بشأنها الزمخشري: "وأدخلت إنَّ على كل واحد من جزأي الجملة لزيادة التوكيد" [2].

ويضيف ابن عاشور: "وأعيدت (إنَّ) في صدر الجملة الواقعة خبرا عن اسم (إنَّ) الأولى توكيدا لفظيا للخبر، لطول الفصل بين اسم (إنَّ) وخبرها، وكون خبرها جملة وهو توكيد حسن بسبب طول الفصل، وتقدم منه قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ٣٠﴾ **[الكهف: 30]**، وإذا لم يطل الفصل فالتوكيد بإعادة (إنَّ) أقل حسنا" [3].

وبهذه الصفة من التوكيد جاء باقي الآيات في السورة خاصة إذا ما تعلق الأمر بتقرير الأدلة على الكافرين، فتكون إنَّ وأنَّ أهم المؤكدات بالإضافة إلى اللام وضمير الفصل والجملة الاسمية كما في قوله تعالى ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ٣٩﴾ حيث اجتمعت في الآية جملة من المؤكدات وهي حرف الجرّ الباء الزائدة لتوكيد، وأنَّ وإنَّ واللام والصفة، وعلى هذا النمط وردت آيات السورة وما هذه الآية إلّا دليل ومثال على ما سبق تقريره من أنَّ السورة تختص بظاهرة التوكيد.

---

[1] إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ج: 4، ص: 11.

[2] الكشاف، الزمخشري، ج: 13، ص: 148.

[3] التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج: 17، ص: 255.

المبحث الثاني: ألفاظ تفردت بها سورة الحجّ

قبل التعرض إلى الألفاظ التي تفردت بها السورة الكريمة، لا بدَّ من التحدث عن السِّمة التعبيرية[1] التي تمتعت بها، وهذه السِّمة يصورها سياق السورة وموضوعاتها وحتى ألفاظها؛ ولعلَّ هذه الأخيرة هي الأكثر ظهوراً وتأثيراً، بل إنَّها تبدأ باسم السورة ومن ثمة تتجلى في سياقات السورة وموضوعاتها كما سبق وأن أشرنا إلى ذلك، فإذا علمنا أنَّها تسمى بسورة الحجِّ فلا غرابة أن نجد فيها ألفاظا تتعلق بشكل مباشر أو غير مباشر به.

فلفظة الحجِّ نفسها ذكرت فيها وذلك في قوله تعالى ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾وتراك تجد ذكر للبيت الحرام كما في قوله تعالى اسمه ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ وتسميه بالبيت العتيق كما في قوله تبارك وتعالى ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾﴾

وفيها ذكر لمتعلقاته كقضاء التفث والوفاء بالنذور والطواف في قوله تعالى ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾

والبدن[2] التي تقدم هديا في الحجِّ في قوله تعالى ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

فهذه السورة وككل السور في القرآن الكريم تتمتع بشخصية خاصة.

---

[1] السمة التعبيرية هي إحدى الخصائص التي تميز التعبير القرآني، وقد يعبر عنها بالجوّ العام(ينظر: التعبير القرآني، السامرائي، ص: 237-253).

[2] **البُدن**: جمع بُدنة، وهي ما جعل في الأضحى للنّحر والنّذر وأشباه ذلك، فإذا كانت للنحر على كل حال فهي جزور (ينظر: التبيان في تفسير غريب القرآن، ابن الهائم، ص: 238).

المطلب الأول: فعل تذهل

قد ورد هذا الفعل مرة واحدة في قوله تبارك وتعالى ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾

والذُهول: يدل على شغل عن شيء بذعر أو غيره،[1] وقيل: ذهلَ الشيء وذهل عنه وذَهله ذهلا وذهولا تركه على عمد أو غفل عنه أو نسيه لشغل،[2] وقيل: "الذهول: شغل يورث حزناً ونسياناً" [3].

فهذه المعاني اللغوية تنطبق ـ إنْ لم نقل أنَّها قد اجتمعت ـ على حالة التي تكون عليها المراضع يوم تقوم الزلزلة الأرض بزلزلة الأفئدة؛ حتى أنَّ المرضع فيها تشتغل عن وليدها، يقول سيد قطب: " فإذا هو مشهد أشد رهبة من التهويل...إذا هو مشهد حافل بكل مرضعة ذاهلة عما أرضعت تنظر ولا ترى، وتتحرك ولا تعي... مشهد مزدحم بذلك الحشد المتماوج، تكاد العين تبصره لحظة التلاوة، فلا يكاد يبلغ أقصاه...وهو هول حيٌّ لا يقاس بالحجم والضخامة، ولكن يقاس بوقعه في النفوس الآدمية؛ في المرضعات الذاهلات عمَّا أرضعن، وما تذهل المرضعة عن طفلها إلا للهول الذي لا يدع بقية من وعي" [4].

فليس هنالك فعل آخر قد ينوب عن "تذهل" للتعبير عن ذلك الهول العظيم، المرفوق بذلك الفزع الجسيم؛ مما يدل على عظيم القرآن في انتقاء ألفاظه، بل حتى صيغته الصرفية للفعل وكونه مضارعا يجعله يصور مشهداً بأسره.

وممَّا يزيد هذا المشهد العنيف هولاً أنَّه ﷻ قال "مرضعة" ولم يقل "مرضع" فلماذا؟

فالجواب: أنَّ "المرضعة هي التي في حال الإرضاع وهي ملقمة ثديها الصبي والمرضع شأنها أن ترضع، وإن لم تباشر الإرضاع في حال وصفها به، فقيل مرضعة ليدل على أن ذلك الهول إذا فوجئت به هذه وقد ألقمت الرضيع ثديها نزعته من فيه لما يلحقها من الدهشة" [5].

---

[1] ينظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ج: 2، ص: 363، مادة (ذهل).

[2] ينظر: المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي(تـ:458هـ)، تحق: عبد الحميد هنداوي، ط1: 1421هـ-2000م، دار الكتب العلمية – بيروت، ج: 4، ص: 260.

[3] المفردات، الراغب الأصفهاني، ص: 201.

[4] في ظلال القرآن، سيد قطب، م: 4، ص: 2408.

[5] الكشاف، الزمخشري، ج: 3، ص: 141.

المطلب الثاني: ثاني عطفه

وهذا وصف ورد في حق أولئك المجادلين في الله بغير علم في قوله ﷻ ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۝٩﴾

والثني الشيء: ثنيا عطفه ورد بعضه على بعض ويقال ثنى صدره على كذا طواه عليه وستره وفي التنزيل العزيز ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ﴾ **[هود: 5]**[1].

والعطف: من عطفت الشيء: أملته. وانعطف الشيء انعاج. وعطفت عليه: انصرفت وعطفت رأس الخشبة، أي: لويت، وثنى فلان على عطفه إذا أعرض عنك وجفاك. وعطف الله فلانا على فل وعطفا كل شيء جانباه من لدن رأسه إلى وركه [2].

والمراد بثني العطف في الآية: أي: لاوياً عنقه عن قبول الحق استكبارا وإعراضا، وتقول العرب: ثنى فلان عنك عطفه، تعني أعرض عنك، وإنما عبر العلماء هنا بالعنق فقالوا: ثاني عطفه: لاوي عنقه مع أن العطف يشمل العنق وغيرها ; لأن أول ما يظهر فيه الصدود عنق الإنسان، يلويها ويصرف وجهه عن الشيء بليها [3].

وهي حال أخرى من فاعل يجادل أي عاطفا لجانبه وطاويا كشحه معرضا متكبرا فإن ثني العطف كناية عن التكبر والخيلاء [4].

وهذا التعبير يرسم صورة لهذا الصنف من الناس، صورة فيها الكبر المتعجرف: «ثانِيَ عِطْفِهِ»مائلا مزورا بجنبه [5].

---

[1] ينظر: المعجم الوسيط، مجموعة من المؤلفين، تحق: مجمع اللغة العربية، لا.ط، دار الدعوة. ج: 1، ص: 101.

[2] ينظر: كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: 170ه)، تحق: د.مهدي المخزومي و د.إبراهيم السامرائي، لا.ط، دار ومكتبة الهلال، ج: 2، ص: 17.

[3] ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، ج: 4، ص: 280.

[4] ينظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت:982ه)، لا.ط، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ج: 6، ص: 96.

[5] ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، م: 4، ص: 2411.

المطلب الثالث: لفظة التفث

وهي لفظة لم ترد سوى مرة في قوله تعالى ذكره ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾

والتفث: كما قال القاضي ابن العربي (ت:543هـ)[1]: "هذه لفظة غريبة عربية لم يجد أهل المعرفة فيها شعرا، ولا أحاطوا بها خبرا" [2].

وقد ذكر السيوطي أنَّ هذه الكلمة من الألفاظ الإسلامية الجديدة التي لم تكن موجودة قبل الإسلام [3].

فهذه اللفظة تحديدا وقع حول معناها خلاف عريض، وقد جرى المفسرون على بيان ذلك الخلاف في تفاسيرهم؛ لكن ما يهمنا بعد معرفة المراد منها هو الوقوف على سرّ انتقاءها.

فالتفث: ما يصنعه المحرم عند حله من تقصير شعر وحلقه وإزالة شعث ونحوه من إقامة الخمس من الفطرة حسب الحديث،[4] وفي ضمن ذلك قضاء جميع مناسكه إذ لا يقضى التفث إلا بعد ذلك [5]

والفعل "ليقضوا" ينادي على أن التفث عمل من أعمال الحج وليس وسخا ولا ظفرا ولا شعرا.[6] ولعلَّ السرَّ في اختيار لفظة "التفث" دون غيرها في هذا الموضع: أنها لفظة تجمع مناسك الحجّ كلها كما ورد في الأثر المروي عن ابن عمر الذي قال عندما سئل عن معناها: "التفث: المناسك كلها"[7].

---

(1) **ابن العربي:** محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد المعروف بابن العربي المعافري، يكنى أبا بكر، الإمام العلامة الحافظ المتبحر، له تصانيف عدة في مختلف الفنون، منها: تفسيره أحكام القرآن وكتاب المسالك ، وعارضة الأحوذي شرح جامع الترمذي، والمحصول في أصول الفقه...إلخ، توفي في ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة(ينظر: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ابن فرحون، ج: 2، ص: 256).

(2) أحكام القرآن، القاضي محمد بن عبد الله بن العربي الإشبيلي المالكي(ت:543هـ)، تحق: محمد عبد القادر عطا، ط3: 1424 هـ - 2003 م، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ج: 3، ص: 283.

(3) ينظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، تحق: فؤاد علي منصور، ط1: 1418هـ-1998م، دار الكتب العلمية بيروت، ج: 1، ص: 240.

(4) والحديث المقصود: هو ما أخرجه البخاري في صحيحه غيره عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: " **الفِطْرَةُ خَمْسٌ: الخِتَانُ، وَالِاسْتِحْدَادُ، وَنَتْفُ الإِبْطِ، وَقَصُّ الشَّارِبِ، وَتَقْلِيمُ الأَظْفَارِ**"(ينظر: ما أخرجه البخاري، كتاب: اللباس، باب: تقليم الأظافر، رقم الحديث: 5891، ج: 7، ص: 160)

(5) ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، ج: 4، ص: 119.

(6) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج: 17، 249.

(7) جامع البيان، الطبري، ج: 18، ص:612.

وحتى الإيقاع الصوتي للفظة "التفث" التي تتكون من ثلاث حروف مهموسة؛ يناسب مع الحال الحجاج ومقام الحجّ.

المطلب الرابع: البيت العتيق

وقد وُصف البيت الحرام بالبيت العتيق في موضعين قوله تعالى ذكره ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾ وقوله جلَّ وعلا ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾﴾ فما معنى "العتيق"؟ ولماذا وُصف البيت الحرام بذلك؟

العتيق: من (عَتَقَ): العين والتاء والقاف أصل صحيح يجمع معنى الكرم خلقة وخلقا، ومعنى القدم، والعتيق: القديم من كل شيء حتى قالوا: رجل عتيق أي قديم، ويقال للمتقدم في الزمان أو المكان أو الرتبة عتيق؛ لذلك قيل للقديم عتيق وللكريم عتيق ولمن خلا من الرّق عتيق.[1]

فمجمل المعاني اللغوية للعتق: هي الكرم، والقدم، والحرية ونقض الرقّ؛ وهذا ما أوقع الخلاف بين المفسرين على معنى العتيق في الآية.

وتتلخص أقوالهم في معانٍ:[2]

الأول: أن المراد به القديم، لأنه أقدم مواضع التعبد.

الثاني: أن الله أعتقه من الجبابرة.

الثالث: أن المراد بالعتق فيه الكرم، والعرب تسمي القديم عتيقا وعاتقا ومنه قول حسانﷺ :

كالمسك تخلطه بماء سحابة ... أو عَاتقٌ كدم الذبيح مدام[3]

وقد رجَّح الإمام الشنقيطي المعنى الأول بقوله: "وقد دلَّت آية من كتاب الله، على أن العتيق في الآية بمعنى القديم الأول وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾ [**آل عمران**:96] مع أن المعنيين الآخرين كلاهما حق، ولكن القرآن دل على ما ذكرنا، وخير ما يفسر به القرآن القرآن".[4]

---

[1] ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ج: 4، ص: 219. مختار الصحاح، زين الدين الرازي، ص: 199. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص: 353.

[2] هنالك أقوال أخرى غير أنّها لا تخرج في مجملها عن هذه الأقوال، ينظر: جامع البيان، الطبري، ج: 18، ص: 615. المحرر الوجيز، ابن عطية، ج: 4، ص: 119. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج: 12، ص: 52-53.

[3] ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، شرح وتقديم: عبدأ مهنا، ط3: 1414هـ-1994م، دار الكتب العلمية بيروت، ص: 213. قافية الميم.

[4] أضواء البيان، الشنقيطي، ج: 5، ص: 54.

وهذا الوصف يتناسب مع سياق الآيات التي جاء فيها ذكر أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام وكيف أنَّه اتخذ من البيت الحرام مباءة ومُقاماً له، وكيف أنَّ الله عزّ وجلّ شرع الحجّ منذ ذلك الوقت.

المبحث الثالث: بلاغة الفاصلة القرآنية

إنَّ ما يميز اللفظة القرآنية عن غيرها من ألفاظ البشر؛ أنَّها ألفاظ جزلة ذات فخامة بحيث تكون مختارة الحروف غير متنافرة, مستقرة في مكانها لا يصلح في موضعها غيرها, والفاصلة القرآنية لنْ تقلَّ في سُموها جمالا وبلاغة عن مجمل الألفاظ في القرآن, بلْ هي - وبلا ريب - إحدى وجوه إعجازه, فأين تكمن بلاغتها في سورة الحج؟

المطلب الأول: جرس الفاصلة القرآنية

لقد كان لجرس الفاصلة القرآنية دور كبير في تصوير الجو العام لهذه السورة التي تفردت بما حوته من خصائص القرآن المكي والمدني، وإن كان الأول الأكثر بروزاً، وقد كانت الفاصلة تختلف باختلاف موضوعات السورة، وإن كانت هنالك روابط تجمع ذلك الإيقاع القوي الذي كان يساير آياتها منذ مستهل السورة وحتى خاتمتها، وفيما يلي إحصاء لتلك الفواصل:

الهمزة	الباء	الجيم	الدال	الراء	الزاي	الطاء	الظاء	القاف	الميم	النون
01	01	01	14	25	02	01	01	05	12	12

وما أُجمل في الجدول نفصله فيما يلي:

الهمزة: يشاء.

الباء: القلوب، المطلوب.

الجيم: بهيج.

الدال: شديد في موضعين، مريد، للعبيد، العبيد، يريد في موضعين، شهيد، الجلود، حديد، الحميد في موضعين، السجود، ثمود، مشيد، بعيد.

الراء: السعير، قدير، القبور، منير، العشير، حرير، الفقير، الزور، كفور، لقدير، الأمور، نكير، الصدور، المصير، غفور، بصير، الكبير، خبير، لكفور، يسير، نصير، المصير، بصير، الأمور، النصير.

الزاي: عزيز في موضعين.

الطاء: لوط.

الظاء: يغيظ.

القاف: الحريق في موضعين، عميق، العتيق في موضعين، سحيق.

الميم: عظيم، الحميم، أليم، كريم، الجحيم، حكيم، مستقيم في موضعين، عقيم، النعيم، رحيم، حليم.

النون: المبين، المخبتين، ينفقون، تشكرون، المحسنين، تعدون، مبين، مهين، الرازقين، يعملون، تختلفون، تختلفون.

وبتتبع أصوات الحروف للفاصلة القرآنية في سورة الحجِّ يمكن أن نقف على النقاط التالية:

1-الحرف الأخير في الفواصل جميعها تشترك في صفة الجهر، فكلها مجهورة، وهذه أولى الصفات التي تجعل الإيقاع في السورة قوي شديد.

2-الحرف الأخير من فواصل السورة الأكثر دورانا هو الراء، إذ تكرر في خمس وعشرين آية، ومن المعلوم أنَ هذا الحرف يجمع أكبر عدد من الصفات وهي الجهر الرخاوة التوسط والاستفال والانفتاح والإذلاق والتكرير والانحراف.

3-الفواصل في السورة ذكرت جميع حروف القلقلة، وحرف الدال هو الأكثر حضورا بأربعة عشرة موضعا ومن أمثلته: شديد، مريد، بعيد..إلخ، ثمَّ يليه القاف فالباء، ثمَّ الجيم والطاء في آية واحدة لكل منهما.

4-التنوع في الحرف الأخير من الفواصل الآيات بإحدى عشرة حرفا، فهذه السورة لم تنفرد بحرف أو حرفين كما في كثير من سور القرآن بل هي بخلاف ذلك.

5-الحروف التي يسبق الحرف الأخير من هذه الفواصل هي إحدى حروف المدِّ الثلاثة: إمَّا الياء أو الواو أو الألف في موضع واحد.

6-تنوع الفاصل بين ما انتهت بالاسم وما انتهت بالفعل، علماً بانَّ الأول هو الأكثر حضور إذ كان بسبع وستين آية.

فهذه الملحوظات توقفنا على الجوّ العام للسورة الذي يقول عنه سيد قطب: "والظلال الواضحة في جو السورة كلها هي ظلال القوة والشدة والعنف والرهبة. والتحذير والترهيب واستجاشة مشاعر التقوى والوجل والاستسلام" [1].

[1] في ظلال القرآن، سيد قطب، م: 4، ص: 2406.

ومن بين ما يميز الفواصل في السورة تأليفها الصوتي في شكلها وجوهرها، وهو ما يسميه عبد الله دراز عند حديثه عن بلاغة اللفظ القرآني بالجمال التوقيعي فيقول بشأنه: "إنَّ أول شيء أحسته تلك الأذن العربية في نظم القرآن هو ذلك النظام الصوتي البديع الذي قسمت فيه الحركة والسكون تقسيمًا منوعًا يجدد نشاط السامع لسماعه، ووزعت في تضاعيفه حروف المد والغنة توزيعًا بالقسط الذي يساعد على ترجيع الصوت به وتهادي النفس به آنًا بعد آن، إلى أن يصل إلى الفاصلة الأخرى فيجد عندها راحته العظمى" [1].

والجرس الإيقاعي في السورة قريب من الجرس الصوتي في السور المكية التي تتميز بقوة بجرس الألفاظ ووقعها، وإيجاز العبارة مع بلاغة المعنى ووفائه، وهذا ليس أمرا غريبا إذا علمنا أنَّ السورة غلبت عليها موضوعات السور المكية؛ من حديث عن الساعة وأهوال المحشر وذكر للجنة والنار والثواب والعقاب وغيرها.

والوقع الذي يحدثه الجرس الصوتي للفاصلة القرآنية ومدى تصويره للمشهد العام للسورة لا يعني أبدا أنَّه مراد وحده بل المعنى الذي تحمله تلك الفواصل هو أسمى من ذلك تقول عائشة بنت الشاطئ: "إن البيان الأعلى لا يتعلق في فواصله بمجرد دعاية شكلية للرونق اللفظي، وإنما تأتي الفواصل لمقتضيات معنوية مع نسق الإيقاع بها، وائتلاف الجَرْس بألفاظها التي اقتضته المعاني على نحو تتقاصر دونه بلاغة البلغاء" [2].

فإذا اجتمع الهدفان الجمال الإيقاعي مع الوفاء بالمعنى وهذا معهود القرآن حينئذ تدرك البلاغة منتهاها، ولعلّ هذا الكلام النظري يحسن أن يثمن بأمثلة تطبيقية من السورة الكريمة ليكون له في النفوس موقعه فأقول:

1-في مستهل السورة الكريمة في قوله سبحانه وتعالى﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ١﴾ نرى الآية قد ختمت بكلام له وقعه في القلوب؛ فما سبق الميم وهي الحرف الأخير في الآية كان أعظم بكثير من جرس الميم نفسه.

(1) النبأ العظيم، محمد بن عبد الله دراز (ت:1377هـ)، ط: 1426هـ/2005م، دار القلم للنشر والتوزيع، ص: 133.

(2) الإعجاز البياني، عائشة بنت الشاطئ، ص: 268.

فتنكير كلمة شيء بمعنى أنَّه أعظم من أن يعرف أو يعين، نحو قوله سبحانه ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾﴾ **[البقرة: 10]**،[1] فالإتيان بلفظ شيء للتهويل بتوغله في التنكير، أي زلزلة الساعة لا يعرف كنهها إلا بأنها شيء عظيم[2].

فوصف الساعة بأنَّها شيء عظيم هائل لتعليل أمرهم بالتقوى بفظاعة الساعة ليتصوروها بعقولهم ويعلموا أنه لا يؤمنهم منها سوى التَّدرع بلباس التقوى فيبقوا على أنفسهم ويتقوها بملازمة التقوى.[3]

2-لنتأمل قوله تعالى ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾

إنّ هذه الصورة تدفع الخيال لمتابعة الحركات السريعة، لسقوط هذا المشرك من السماء، وفي لمح البصر تخطفه الطير، أو ترميه الريح في مكان سحيق، بعيد عن الأنظار، ويترك للخيال أن يتأمل صورة خطف الطير له، وصورة تمزيقه قطعا، أو يتابع حركة سقوطه في مكان سحيق بعيد ...[4].

ولنقترب أكثر من لفظة سحيق؛ لنرى كيف تنسجم مع مضمون الآية بمعناها، ومع جرس الفواصل في السورة بإيقاعها؛ فهي تتناسب مع مضمون الآية الذي فيه التخطف الطير وهوي الريح بذلك المشرك.

والسَّحق لغة: تفتيت الشيء، ويقال: أَبعده الله وأَسْحقه، أَي جعله سَحِيقاً، وقيل: سَحَقه أَي جعله بالياً، وقوله تعالى:﴿فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾ **[الملك: 11]**، وقوله:﴿أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾،[5] فبعد ذلك السقوط لم يكن له حال سوى التفتت في مكان سحيق.

---

(1) ينظر: لغة القرآن الكريم، د. عبد الجليل عبد الرحيم، ط1: 1401هـ/1981م، مكتبة الرسالة الحديثة عمان-الأردن، ص: 341.

(2) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج: 17، ص: 137.

(3) ينظر: أنوار التنزيل، البيضاوي، ج: 4، ص: 64.

(4) وظيفة الصورة الفنية في القرآن، عبد السلام أحمد الراغب، ط1: 1422هـ/2001م، فصلت للدراسات والترجمة والنشر – حلب، ص: 50.

(5) ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت: 817هـ)، تحق: محمد علي النجار، لا.ط، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ج: 3، ص: 201.

وأمَّا عن مناسبة هذه الفاصلة لمجمل فواصل السورة، فهي تكمن في ذلك الجرس الذي تحدثه حال النطق، فكيف بدأت بهمس السين وكيف ختمت بشدة القاف وقلقلتها؛ وكأنما تلك القلقلة تصور الاضطراب الذي يكون عليه ذلك الكافر المشرك.

المطلب الثاني: الفواصل المنتهية بأسماء الله الحسنى

كثير من الآيات في كتاب الله ﷻ ختمت باسم أو اسمين من أسماء الله الحسنى؛ وقد أحصاها محمد الحسناوي بعد أن أبان عن منهجه في إحصاءها، فأوصلها إلى نحو: خمس وستين وأربع مائة آية،[1] وسورة الحجّ ذيلت سبع عشرة آية منها بأسماء الله الحسنى،[2] سبع منها متتالية وهذا لم سواها،[3] وفي هذا المطلب لا نهدف لإحصاء تلك الفواصل بقدر ما نهدف للوقوف مع مدلولاتها، ومدى تناسبها مع مضامين الآي الواردة فيها.

الفرع الأول: الآيات التي انتهت باسم واحد من أسماء الله الحسنى

وهي خمس آيات؛ وذلك على النحو الآتي:

أولا: ختمت آيتين في السورة باسم الله "القدير" هما قوله تعالى﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٦﴾ وقوله سبحانه ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ٣٩﴾

فالقدير صيغة مبالغة على ووزن فعيل ون فعل "قدر"، وجاء في اللسان: "القدير والقادر: من صفات الله عز وجل يكونان من القدرة ويكونان من التقدير، وقوله تعالى: إن الله على كل شيء قدير*؛ من القدرة، فالله عز وجل على كل شيء قدير، والله سبحانه مقدر كل شيء وقاضيه، وقدر على الشيء قدرة أي ملكه، فهو قادر وقدير" [4].

وختمت الآية الأولى باسم الله القدير للدلالة على قدرة الله المطلقة التي لا يعتريها نقص ولا عجز وممّا يدل على ذلك تقديم الجار والمجرور، وأيضا في الآية عطف للعام على الخاص؛ فبعد أن بين قدرته على البعث واستدلَّ لها بأمور، عقب ذلك بتأكيد على أنَّه على كل شيء قدير.

وأمَّا في الآية الثانية فبعد أن أذن الله تعالى للمسلمين بقتال مشركي مكة لما اشتدَّ إيذائهم وبغيهم على النبي ﷺ وأصحابه كما جاء في سبب النزول؛ أكدَّ لهم سبحانه قدرته على نصرهم فقال تعالى ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ٣٩﴾.

---

[1] ينظر: الفاصلة في القرآن، محمد الحسناوي، ط2: 1421هـ/2000م، دار عمار-الأردن، ص: 11.

[2] مواضع الآيات: 6، 17، 24، 39، 40، 52، 59، 60و 61، 62، 63، 64، 65، 74، 75، 78.

[3] ينظر: فنون الأفنان في عيون علوم القرآن، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي(ت: 597هـ)، تحق: د. حسن ضياء الدين عتر، ط1: 1407هـ/1987م، دار البشائر الإسلامية بيروت-لبنان، ص: 478.

[4] لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور (ت: 711هـ)، ط3: 1414هـ، دار صادر – بيروت، ج: 5، ص: 74.

قال الشنقيطي: "وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ۝٣٩﴾ يشير إلى معنيين:

أحدهما: أن فيه الإشارة إلى وعده للنبي وأصحابه، بالنصر على أعدائهم كما قال قبله قريبا: ﴿*إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾.

والمعنى الثاني: أن الله قادر على أن ينصر المسلمين على الكافرين من غير قتال لقدرته على إهلاكهم بما شاء، ونصرة المسلمين عليهم بإهلاكه إياهم" [1].

ثانيا: قوله تعالى﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ۝١٧﴾

ذيلت هذه الآية باسم الله الشهيد، فلماذا؟

الشهيد هو أيضا كالقدير صيغة مبالغة على وزن"فعيل"، ومن أسماء الله تعالى الشهيد وهو: المطلع على جميع الأشياء وسمع جميع الأصوات خفيها وجليها، وأبصر جميع الموجودات دقيقها وجليلها، صغيرها وكبيرها، وأحاط علمه بكل شيء الذي شهد لعباده وعلى عباده بما عملوه [2].

أمَّا قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ۝١٧﴾ فالمراد أنَّه تعالى ذكره يفصل بينهم وهو عالم بما يستحقه كل منهم فلا يجري في ذلك الفصل ظلم ولا حيف [3].

فهي جملة مستأنفة استئنافا ابتدائيا للإعلام بإحاطة علم الله بأحوالهم واختلافهم والصحيح من أقوالهم [4].

ثالثا: قوله تعالى﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ۝٢٤﴾ وجاء تذيل هذه الآية بالحميد.

قال الزجاج: " الحميد هو فعيل في معنى مفعول والله تعالى هو المحمود بكل لسان وعلى كل حال كما يقال في الدعاء الحمد لله الذي لا يحمد على الأحوال كلها سواه" [5].

---

[1] أضواء البيان، الشنقيطي، ج: 5، ص: 264-265.

[2] ينظر: تفسير أسماء الله الحسنى، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد السعدي (ت: 1376هـ)، تحق: عبيد بن علي العبيد، لا.ط، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ص: 211.

[3] التفسير الكبير، الرازي، ج: 23، ص: 213.

[4] التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج: 17، ص: 255.

[5] تفسير أسماء الله الحسنى، إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج (ت: 311هـ)، تحق: أحمد يوسف الدقاق، لا.ط، دار الثقافة العربية، ص: 55.

وفي الآية تقديم وتأخير، فقدمت جملة ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾ على جملة﴿وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ٢٤﴾ فوجه تأخير هذه الهداية عن ذكر الهداية إلى القول المذكور المتأخر عن دخول الجنة المتأخر عن الهداية إلى طريقها لرعاية الفواصل، وقيل: المراد بالحميد الحق المستحق لذاته لغاية الحمد وهو الله عز وجل وصراطه الإسلام ووجه التأخير حينئذ أن ذكر الحمد يستدعي ذكر المحمود.[1]

وفي هذه الآية اقتصر على إضافة الحميد لكلمة "الصراط"؛ بينما في سورتي إبراهيم وسبأ أضيفت كلمة "الصراط" إلى العزيز الحميد فقال تعالى في الأولى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١﴾ **[إبراهيم: 1]** وقال عزَّ اسمه في الثانية﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلۡحَقَّ وَيَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ٦﴾ **[سبأ: 6]** فلماذا؟

فالجواب: أنَّ المقام استدعى الاقتصار على ذكر اسم الحميد، وبيان ذلك في سورة إبراهيم: "أنَّه لما خوطب النبي محمد ﷺ بقوله تعالى ﴿لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ فلما كان السابق من مفهوم آية إبراهيم كما ذكر أشار وصفه تعالى بالعزيز إلى قدرته تعالى وقهره، وأنه لا يكون من العباد إلا ما سبقت به إرادته التي لا يخرج واقع عن حكمها، وتعالى أن يكون في ملكه ما لا يريد، فأحرز الوصف بالعزة هذا المعنى العظيم، ولو لم يرد هذا الوصف لما تحرر هذا المقصود، وكذلك الوارد في قوله في آية سبأ" [2].

"أمَّا آية سورة الحج فهي إخبار منه سبحانه بما شاءه لهؤلاء من فوزهم وفلاحهم، قد تم حكمه وانقضى، فلم يكن ليناسبه ما يفهم القهر، وإنما المناسب ما يفهمه اسمه الحميد".[3] فهو امتداد للإنعام الذي خصَّ الله تعالى للمؤمنين في الآية قبلها﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ٢٣﴾

[1] إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ج: 6، ص: 102.

[2] ملاك التأويل، ابن الزبير الغرناطي، ج: 2، ص:285.

[3] ملاك التأويل، ابن الزبير الغرناطي، ج: 2، ص: 286.

فهذا المقام فيه إخبار بالتفضيل والإنعام والفوز، لذا كان من الملائم ذكر صفة الحمد أو اسم الحميد والاقتصار عليه، لأنَّ ذلك الإنعام العظيم جدير بأن يغري هؤلاء الفائزين، بالحمد والثناء على ربهم [1].

رابعا: قوله جلَّ وعلا في آخر السورة﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨﴾

والنصير تعود مادته اللغوية لـ: نصر، "والنصر إعانة المظلوم نصرة على عدوه"،[2]والنصير وهو: "على وزن فعيل بمعنى فاعل أو مفعول، لأن كل واحد من المتناصرين ناصر ومنصور، وقد نصره ينصره نصرا، إذا أعانه على عدوه وشد منه".[3]

والنصير في الآية، أنه تعالى لما بدأ لآية بقوله تعالى﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ والجهاد يحتاج إلى نصر فلزم أن يؤكد الختم بالنصير.[4]

فالله هو نعم المولى حين لم يمنعكم الرزق لما عصيتموه ، ونعم النصير حين أعانكم لما أطعتموه.[5]

وعادةً ما يقترن اسم الله تعالى "النصير" باسمه "الوليّ" كما ورد في الآية آنفا، فلماذا؟

والجواب عن ذلك: أنَّ المولى هو الذي يدفع عن المؤمنين المكروه، والنصير هو الذي يساندهم فيمكنهم من الظهور على هذا المكروه فينصرهم عليه، كأن المولى لدفع الشدة والنصير لتمكين المؤمنين من الظهور على شدتهم فيجلب لهم المنفعة والنصرة.[6]

---

[1] ينظر: تأملات في سورة إبراهيم تفسير بلاغي تطبيقي، د. عادل أحمد صابر الرويني، ط1: 1434هـ/2013م، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم-الإمارات، ص: 29.

[2] لسان العرب، بن منظور، ج: 5، ص: 210.

[3] النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد الجزري ابن الأثير (ت: 606هـ)، تحق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، لا.ط، المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ /1979م، ج: 5، ص: 64.

[4] ينظر: الإعجاز البياني في نظم خواتم الآي المشتملة على أسماء الله الحسنى(رسالة ماجستير)، عاطف رجب جمعة القانوع، كلية الآداب، قسم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية-غزة، ص:130.

[5] ينظر: النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت: 450هـ)، تحق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، لا.ط، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، ج: 4، ص: 43.

[6] ينظر: الإعجاز البياني في نظم خواتم الآي، القانوع، ص: 131.

الفرع الثاني: الآيات المنتهية باسمين من أسماء الله الحسنى

وهي كما سبق أن ذكرنا أنَّها إحدى عشرة آية ، سبع منها متتالية:

أولا: ذيلت آيتين في السورة باسمي الله القوي والعزيز وهما قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٞ ٤٠﴾ وقوله تبارك وتعالى ﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٞ ٧٤﴾

والقوي: "هو الكامل القدرة على الشيء تقول هو قادر على حمله فإذا زدته وصفا قلت هو قوي على حمله وقد وصف نفسه بالقوة فقال عز قائلا﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ٥٨﴾ **[الذاريات:58]**" [1].

والعزيز: "الذي له العزة كلها عزة القوة، وعزة الغلبة وعزة الامتناع، فممتنع أن يناله أحد من المخلوقات وقهر جميع الموجودات، ودانت له الخليقة وخضعت لعظمته" [2].

ولم يرد في القرآن الكريم مطلقا تجاوز (العزيز القوي) بهذا الترتيب، إنَّما ورد (القوي العزيز)، وهي مسالة يبدو فهمها في غاية البساطة والسهولة؛ لأنَّ المولى سبحانه وتعالى يدفع بالاسم الأخير ما يلصق بالاسم الأول من معان يتكلفها ذهن المتأمل، فالعزيز يشمل كل معاني القوة، فما عزَّ إلا لقوة فيجئ إرداف (القوي) حينئذ شيء من الزيادة غير المستحسنة، لأنَّ انتقال من الأقوى في المعاني إلى الأضعف [3].

وجملة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٞ ٤٠﴾ في الآية الأولى تعليل لجملة ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾، أي كان نصرهم مضمونا لأن ناصرهم قدير على ذلك بالقوة والعزة [4].

وأمَّا الآية الثانية فهي أيضا تعليل لمضمون الجملة قبلها، فإنَّ ما أشركوهم مع الله في العبادة كل ضعيف ذليل فما قدروه حق قدره لأنه قوي عزيز فكيف يشاركه الضعيف الذليل، واللَّهَ قَوِيٌّ على جميع الممكنات عَزِيزٌ غالب على جميع الأشياء، وآلهتهم المقهورة لأذل العجزة [5].

---

[1] شرح أسماء الله الحسنى، الزجاج، ص: 54.

[2] شرح أسماء الله الحسنى، ص: 214.

[3] الإعجاز البياني في نظم خواتم الآي، القانوع، ص: 236.

[4] التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج: 17، ص: 217.

[5] ينظر: روح المعاني، الألوسي، ج: 9، ص: 179، التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج: 17، ص: 342.

ثانيا: هذه الآية ذيلت باسمي الله العليم والحكيم، قال تعالى﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٢﴾

والعليم: "معنَاه ظَاهر وكماله أَن يُحِيط بِكُل شَيْء علما ظَاهره وباطنه دقيقه وجليله أَوله وَآخره عاقبته وفاتحته" [1].

والحكيم: "هو الذي له الحكمة العليا في خلقه وأمره الذي أحسن كل شيء خلقه﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ٥٠﴾ **[المائدة: 50]**، فلا يخلق شيئاً عبثا، ولا يشرع شيئاً سدى، الذي له الحكم في الأولى، والآخرة، الموصوف بكمال الحكمة، وبكمال الحكم بين المخلوقات، فالحكيم هو واسع العلم، والإطلاع على مبادئ الأمور، وعواقبها" [2].

فالله هو الذي له الأمر كله، عليم بنفي الشبه، وهو حكيم بإيراد الكلام على وجه لا تؤثر فيه عند من له أدنى بصيرة [3].

ثالثا: قوله تبارك وتعالى﴿لَيُدۡخِلَنَّهُم مُّدۡخَلٗا يَرۡضَوۡنَهُۥۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٞ ٥٩﴾ والآية ختمت بالعليم الحليم، وقد سبق وأن عرفنا معنى اسمه العليم، وبقي أن نعرف الحليم.

والحليم: وهو الذي له الحلم الكامل، والذي وسع حلمه أهل الكفر، والفسوق، والعصيان، ومنع عقوبته أن تحل بأهل الظلم عاجلاً، فهو يمهلهم ليتوبوا، ولا يهملهم إذا أصروا، واستمروا في طغيانهم، ولم ينيبوا، والذي يدر على خلقه النعم الظاهرة والباطنة مع معاصيهم، وكثرة زلاتهم، فيحلم عن مقابلة العاصين بعصيانهم [4].

والله جلَّ جلاله عليم بمقاصدهم وما علموا مما يرضيه وغيره، وحليم عمَّا قصروا فيه من طاعته، وما فرطوا في جنبه سبحانه [5].

---

[1] المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (ت: 505هـ)، تحق: بسام عبد الوهاب الجابي، ط1: 1407هـ/1987م، الجفان والجابي – قبرص، ص: 86.

[2] شرح أسماء الله الحسنى، السعدي، ص: 186.

[3] ينظر: نظم الدرر، البقاعي، ج: 13، ص: 72.

[4] ينظر: شرح أسماء الله الحسنى، ص: 189.

[5] ينظر: نظم الدرر، البقاعي، ج: 13، ص: 78.

رابعا: قوله تعالى﴿ ۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ﴾ وهنا اسمين آخرين وهما: "العفو" و"الغفور"، ويبدوان للوهلة الأولى مترادفين، فهل هذا صحيح؟

العفوّ: "من أسماء الله تعالى العفوّ هو فعول من العفو وهو التّجاوز عن الذّنب وترك العقاب عليه، وأصله المحو والطّمس، وهو من أبنية المبالغة" [1].

والغفور: وهو من أبنية المبالغة، ومعناه الساتر لذنوب عباده وعيوبهم، المتجاوز عن خطاياهم وذنوبهم، وأصل الغفر: التغطية. يقال: غفر الله لك غفرا وغفرانا ومغفرة. والمغفرة: إلباس الله تعالى العفو للمذنبين [2].

فبهذين التعريفين تبين أن الاسمين في معناهما ليسا سوء، ولمزيد الفروق بينهما نذكر:

"أنّ الغفران يقتضي إسقاط العقاب ونيل الثّواب، ولا يستحقّه إلّا المؤمن ولا يكون إلّا في حقّ البارىء تعالى، أمّا العفو فإنّه يقتضي إسقاط اللّوم والذّمّ ولا يقتضي نيل الثّواب ويستعمل في العبد أيضا" [3].

وفي سرّ هذا الختم يقول الزمخشري: "فإن قلت: كيف طابق ذكر العفو الغفور هذا الموضع؟ قلت: المعاقب مبعوث من جهة الله عز وجل على الإخلال بالعقاب، والعفو عن الجاني ـ على طريق التنزيه لا التحريم ـ ومندوب إليه، ومستوجب عند الله المدح إن آثر ما ندب إليه وملك سبيل التنزيه، فحين لم يؤثر ذلك وانتصر وعاقب فإن الله لعفو غفور، أي: لا يلومه على ترك ما بعثه عليه، وهو ضامن لنصره في كرته الثانية من إخلاله بالعفو وانتقامه من الباغي عليه، ويجوز أن يضمن له النصر على الباغي، ويعرض مع ذلك بما كان أولى به من العفو، ويلوح به بذكر هاتين الصفتين" [4].

ومقالته هذه تتباين مع توجيه ابن عاشور الذي قال: "وجملة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ تعليل للاقتصار على الإذن في العقاب بالمماثلة في قوله:﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ﴾ دون الزيادة في الانتقام مع أن البادئ أظلم بأن عفو الله ومغفرته لخلقه قضيا بحكمته أن لا يأذن إلا

---

[1] النهاية في غريب الأثر، ابن الأثير، ج: 3، ص: 34.

[2] ينظر: المصدر السابق: ج: 3، ص: 373.

[3] نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم، عدد من المختصين بإشراف الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد، ط4، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، ج: 7، ص: 2891.

[4] الكشاف، الزمخشري، ج: 3، ص: 567.

بمماثلة العقاب للذنب لأن ذلك أوفق بالحق... فليس ذكر وصفي لعفو غفور إيماء إلى الترغيب في العفو عن المشركين" [1].

ولنكتف بهذا القدر، الذي كشفنا من خلاله عن بلاغة تنهية الفواصل القرآنية بأسماء الله الحسنى، وكيف أنها تتناسب وتتسق مع مضامين الآيات الواردة فيها، سواء ختمت باسم واحد أو اسمين فالأمر في حضور الملمح البلاغي.

[1] التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج: 17، ص: 313-314.

الفصل الثاني

الفصل الثاني: دراسة أسلوبية لسورة الحجِّ وفيه وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أسلوب النِّداء, وفيه مطلبان:

المطلب الأول: النِّداء بـ: يا أيها الناس

المطلب الثاني: النِّداء بـ: يا أيها الذين آمنوا

المبحث الثاني: أسلوب التقديم والتأخير, وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تقديم العامل على معموله

المطلب الثاني: تقديم بعض ألفاظ الجملة على بعضها البعض

المبحث الثالث: أساليب البيان والبديع في السورة

المطلب الأول: الصور البيانية

المطلب الثاني: البديع

المبحث الأول: أسلوب النِّداء

يعدُّ أسلوب النّداء من بين أهمِّ الأساليب البلاغية المستعملة لتنبيه السامع ولفت أنظار المخاطبين، وعادة ما تستعمل الياء "يا" كأداة للتعبير عنه،[1] على أن هنالك أدوات أخرى له، وفي هذه السورة الكريمة لم يرد النِّداء إلّا بها ـ أي: يا ـ وذلك في خمس مواضع منها.

المطلب الأول: النّداء بـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾

الموضع الأول

وذلك في بداية السورة بلْ في الآية الأولى منها في قوله ﷻ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ۝١﴾

وكم في ذلك من براعة الاستهلال،[2] فهي من بين عشر سور في القرآن الكريم ابتدأت بنداء،[3] خاصّة أنَّ المنادى به أمر عظيم، وموجه لكل النّاس؛ فصدر الآية تحذير لجميع العالم ثم أوجب الخبر وأكَّده بأمر زلزلة القيامة،[4] ونبه تعالى على سبب اتقاءه وهو ما يؤول إليه من أهوال السّاعة، وهو على حذف مضاف أي: اتقوا عذاب ربكم[5].

وهنالك لفتة أخرى: فلمَّا بدأ الله تعالى السورة الرابعة في النصف الأوّل وهي سورة النِّساء بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ۝١﴾ **[النساء: 1]** وفي ذلك إشارة إلى المبدأ؛ بدأ السورة الرابعة في النصف الثاني بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ۝١﴾ وفي هذا إشارة إلى المعاد[6].

---

(1) لم يقع في القرآن الكريم نداء بغير يا، ولذلك لا يقدّر غيرها من حروف النِّداء عند الحذف (ينظر: دراسات في أسلوب القرآن الكريم، محمد عبد الخالق عظيمة، ج: 3، ص: 599 و600).

(2) براعة الاستهلال: وهو أخصّ من الابتداء الحسن ، وهو أن يشتمل أول الكلام على ما يناسب الحال المتكلم فيه، ويشير إلى ما سبق الكلام لأجله (ينظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين السيوطي، ص:58).

(3) والسور هي: النّساء والمائدة والحجّ والأحزاب والحجرات والممتحنة والطّلاق والتحريم والمزمل والمدثر.

(4) ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، ج: 4، ص: 105.

(5) ينظر: البحر المحيط، ابن حيّان، ج: 7، ص: 480.

(6) ينظر: في رحاب التفسير، عبد الحميد كشك، لا. ط، المكتب المصري الحديث، ج: 17، ص: 82.

الموضع الثاني

وذلك قوله جلّ وعلا ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٥﴾

وهو عامٌ أيضا، إذْ أعاد خطاب النَّاس بعد أن أنذرهم بزلزلة السَّاعة، وذكر أن منهم من يجادل في الله بغير علم، فأعاد خطابهم بالاستدلال على إمكان البعث وتنظيره بما هو أعظم منه وهو الخلق الأول،[1] وهو نداء غرضه التذكير؛ تذكير ألئك الناس بأنَّهم لم يكونوا شيئاً مذكورا، وأنّه ﷻ خلقهم، وفي الآية تفصيل عجيب لمراحل ذلك الخلق تحار دونه الألباب "فمن يتصور أو يصدق أن ذلك كله كامن في تلك النقطة العالقة؟ وأن هذه النقطة الصغيرة الضئيلة هي هذا الإنسان المعقد المركب؟"[2].

ثمّ عطف على خلق الإنسان إحياءَ الأرض الهامدة؛ "وهذا ارتقاء في الاستدلال على الإحياء بعد الموت بقياس التمثيل لأنه استدلال بحالة مشاهدة فلذلك افتتح بفعل الرؤية بخلاف الاستدلال بخلق الإنسان فإن مبدأه غير مشاهد فقيل في شأنه فإنا خلقناكم من تراب الآية. ومحل الاستدلال من قوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ﴾ ، فهو مناسب قوله في الاستدلال الأول ﴿فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ﴾، فهمود الأرض بمنزلة موت الإنسان واهتزازها وإنباتها بعد ذلك يماثل الإحياء بعد الموت"[3]..

---

[1] ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج: 17، ص: 196.

[2] في ظلال القرآن، سيد قطب، م: 4، ص: 2410.

[3] التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج: 17، ص:203.

الموضع الثالث

قوله ﷻ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾﴾

نداءٌ سُبق بـ: قلْ للاهتمام به، وافتتاح المقول بنداء الناس للفت ألبابهم إلى الكلام، والمخاطبون هم المشركون،[1]وذلك ما يقتضيه ظاهر السياق،[2]على أنَّ النّداء بها الإنذار فيه نوع من الرحمة؛ لأنك تخبر بشرٍّ قبل أوانــه، ليحذره المنذَر، ويحاول أنْ يُنجي نفسه منه، ويبتعد عن أسبابه، فحين أُذكّرك بالله، وأنه يأخذ أعداءه أخْذَ عزيز مقتدر، فعليك أنْ تربأ بنفسك عن هذه النهاية، وأن تنجوَ من دواعي الهلاك [3].

الموضع الرابع

قوله ﷻ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾

هذا النّداء أُتبع بضرب مثل؛ وأي مثل؟ فهو" أبلغ ما أنزل في تجهيل المشركين"،[4]وهذا المثل يضع قاعدة ويقرّ حقيقة،[5] "وخصَّ الذباب لأربعة أسباب تخصّه: لمهانته وضعفه واستقذاره وكثرته" [6].

"وفي افتتاح السورة بـ: يا أيها الناس وتنهيتها بمثل ذلك شبه بردّ العجز على الصدر، وممّا يزيده حسنا أن يكون العجز جامعا لما في الصدر وما بعده، حتى يكون كالنتيجة للاستدلال والخلاصة للخطبة والحوصلة للدرس" [7].

---

(1) ينظر: المصدر السابق، ج: 17، ص: 293.

(2) ينظر: روح المعاني، الألوسي، ج: 9، ص: 163.

(3) ينظر: تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي (ت: 1418هـ)، لا. ط، مطابع أخبار اليوم 1997م، ج: 16، ص: 236.

(4) الكشاف، الزمخشري، ج: 3، ص: 171.

(5) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، م: 4، ص: 2443.

(6) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج: 12، ص: 97.

(7) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج: 17، ص: 338.

المطلب الثاني: النّداء بـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾

قوله ﷻ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾

هو النّداء الأخير في هذه السورة الكريمة؛ وقد أتى هذه المرّة بمسمّى الإيمان، فبعد أربع نداءات بـ: يا أيها النّاس؛ ختمت السّورة بـ: يا أيها الذين آمنوا، فهو خطاب للمؤمنين بما يصلح حالهم ويُنوه بشأنهم،[1] فكان المنادى به الأوَّل الصَّلاة وخصَّها لأنَّها أشرف العبادات ثمَّ عممّ فقال: ﴿وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ﴾[2] ثمّ أمر بفعل الخيرات وهو أعمّ منهما.[3]

"وفي هذا الترتيب إيماء إلى أن الاشتغال بإصلاح الاعتقاد مقدم على الاشتغال بإصلاح الأعمال"[4].

وخلاصة المبحث: أنَّ هذه النّداءات الخمس منحت السورة توليفة متناسقة منسجمة وصورت بمضامينها الجو العام لسورة التي جمعت بين القرآن المكي والقرآن المدني.

---

[1] ينظر: المصدر السابق، ج: 17، ص: 346.

[2] ينظر: فتح القدير، الشوكاني، ج: 3، ص: 556.

[3] ينظر: المصدر نفسه، نفس الصفحة.

[4] التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج: 17، ص: 346.

المبحث الثاني: التقديم والتأخير

وهو من بين الأساليب البلاغية التي لها أثر واضح في الكشف عن دقائق المعاني، الأمر الذي يظهر بحسن مراعاته لمقتضى الحال،كما يعدّ من بين أفانين العرب التي يطربون في استعمالها في خطبهم ومحاوراتهم، بل وقد عدّه شيخ الإسلام ابن تيمية أحد خصائص اللغة العربية،[1] وقال سيبويه(ت:180هـ)[2] في بيان أهميته: "كأنّهم إنَّما يقدّمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أغنى، وإن كانا جميعاً يُهِمّانِهم ويَعْنِيانهم"،[3] وقد احتوى القرآن الكريم على أسرار جمّة لهذا الأسلوب البديع من ذلك ما تضمنته السورة الكريمة.

والتقديم والتأخير في اللغة العربية يكون إمّا أنْ يكون من قبيل تقديم العامل على معموله، وإمّا أنْ يكون من قبيل تقديم بعض ألفاظ الجملة على بعضها البعض؛ ولكل واحد منها صور ومظاهر متعددة.

المطلب الأول: تقديم المعمول على عامله

وقد تنوعت صوره بين تقديم للمفعول على فعله، أو الجار والمجرور على فعلهما، وبين تقديم للخبر ـ بأنواعه ـ على مبتدئه وبيان ذلك فيما يلي:

أولا: تقديم الظرف على فعله:

من ذلك قوله ﷻ ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾

إذ تقدَّم الظرف "يوم" على الفعل المضارع تذهل، وتقديمه على عامله ـ أي الفعل المضارع تذهل ـ للاهتمام بالتوقيت في ذلك اليوم، وتوقع رؤيته لكل مخاطب من الناس، وأصل نظم الجملة: تذهل كل مرضعة عما أرضعت يوم ترون زلزلة الساعة. فالخطاب لكل من تتأتى منه رؤية تلك الزلزلة بالإمكان[4]

---

[1] ينظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج: 31، ص: 164.

[2] **سيبويه:** هو عمرو بن عثمان بن قُنبر يُكنى أبا بشر، مولى لبني الحارث أخذ النحو عن الخليل بن أحمد الفراهيدي الأزدي ولازمه، وتتلمذ له، عمل كتابه المنسوب إليه في النحو، مات سنة تسع وسبعين ومائة ينظر: إنباه الرواة على أنباء النحاة، جمال الدّين القفطي، ج: 2، ص:348

[3] الكتاب، سيبويه، ج: 1، ص:34.

[4] ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج: 17، ص: 188.

ثانيا: تقديم المفعول على فعله

منه قوله ﷻ ﴿وَٱلۡبُدۡنَ جَعَلۡنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمۡ فِيهَا خَيۡرٞ﴾

فقد تقدم المفعول به "البدنَ" على الفعل الماضي "جعلنا"،[1] وذلك أنَّ سياق الآية ولحاقها متعلق بالحديث عن أحكام البدن التي تقدم كهديّ في الحجِّ؛ وممّا يدل على ذلك قوله تعالى:﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا صَوَآفَّۖ فَإِذَا وَجَبَتۡ جُنُوبُهَا فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡقَانِعَ وَٱلۡمُعۡتَرَّۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرۡنَٰهَا لَكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٣٦ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمۡ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٧﴾

وقيل: "تقديم البدن على عامله للاهتمام بها تنويها بشأنها"[2].

ثالثا: تقديم الخبر شبه جملة على المبتدأ

وهو كثير في هذه السُّورة من ذلك:

1-قوله ﷻ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾ في موضعين؛ إذ تقدّم الخبر مِنَ الناس على المبتدأ منْ، فمنَ الناس خبر مقدم ومَنْ نكرة موصوفة وهي مبتدأ مؤخر أي ناس موصوفة بالجدل واللجاج والسفسطة والمكابرة لا تنفع فيهم العظات ولا تؤثر فيهم الدلائل وهم أئمة الشرك وزعماء الكفر [3].

2-ومن ذلك أيضا قوله ﷻ﴿لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ٩﴾

فهذه جملة مستأنفة مبينة لما يحصل للكافر المجادل بسبب جداله من العقوبة والخزي والذل، وذلك بما يناله من العقوبة [4].

وأكّد ذلك بتقديم الخبر على المبتدأ، حيث أنَّ "له" خبر مقدم "وفي الدنيا" حال لأنه كان صفة لخزي، وخزي مبتدأ مؤخر [5].

وسبب تقديمه أنَّ سياق الآيات هو الحديث عن المتكبر عن الحق المعرض عنه.

---

(1) ينظر: التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (ت: 616هـ)، تحق: علي محمد البجاوي، لا.ط، الناشر: عيسى البابي الحلبي وشركاه، ج:2، ص: 942.

(2) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج: 17، ص: 263.

(3) ينظر: إعراب القرآن وبيانه، محي الدين درويش، ج: 6، ص: 471، والتحرير والتنوير، ابن عاشور، ج: 17، ص: 192.

(4) ينظر: فتح البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي القِنَّوجي (ت: 1307هـ)، تحق: عبد الله إبراهيم الأنصاري، لا.ط، المكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت 1412 هـ - 1992 م، ج: 9، ص: 19.

(5) ينظر: إعراب القرآن وبيانه، محي الدين درويش، ج: 6، ص: 401.

فهذا النوع من التقديم مثله كثير ففي قوله تعالى ﴿وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾﴾ فقد تقدم الخبر "لهم" على المبتدأ "مقامع"، وذلك أن سياق الآيات في الذين كفروا وما أعدّه الله جلا وعلا لهم من العذاب؛ وإنْ "اختلف في عودة الضمير في لهم فقيل يعود على الذين كفروا واللام للاستحقاق، وقيل يعود على أعوان جهنم أي الزبانية ولم يتقدم لهم ذكر ولكن سياق الكلام يدل عليه".[1]

رابعا: تقديم الخبر المفرد على المبتدأ

قال الله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾

قرأ حفص عن عاصم "سواءً" بالنصب وقرأ الجمهور "سواءٌ" بالرفع،[2] فقراءة النصب على أنَّه مفعول ثان لـ"جعلناه"، وقراءة الرفع على أنَّه خبر مقدّم والعاكف والبادي مبتدأ مؤخر، ووحدَّ الخبر لكونه في الأصل مصدر وصف له [3].

والمعنى: الذي جعلناه للناس قبلة أو متعبدا العاكف فيه والبادي سواء [4].

فوجه تقديم سواء على قراءة الرفع التسوية بين العاكف والبادي؛ ومعنى التسوية: "هو التسوية في تعظيم الكعبة، وفي فضل الصلاة به والطّواف فيه،"[5] وإنَّ كان للعاكف فضل على البادي باعتبار تقديمه عليه.

---

[1] ينظر: المصدر نفسه، ج: 6. ص: 415.

[2] ينظر: متن طيبة النشر في القراءات العشر، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف ابن الجزري(ت: 833هـ)، تحق: محمد تميم الزغبي، ط1: 1414هـ/1994م، دار الهدى- جده، ص: 87.

[3] ينظر: إعراب القراءات السبع وعللها، أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه (ت: 370هـ)، تحق: د.عبد الرحمن سليمان العثيمين، ط1: 1413هـ/1992م، دار الخانجي- القاهرة، ج: 2، ص: 74، وإتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، أحمد بن محمد البنا(ت: 1117هـ)، تحق: د.شعبان محمد إسماعيل، ط1، دار عالم الكتب بيروت، ج: 2، ص: 274.

[4] ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج: 12،ص: 34.

[5] تفسير حدائق الروح والريحان، محمد الأمين بن عبد الله الآرمي العلوي الهرري الشافعي، ط1: 1421هـ/2001م، دار طوق النجاة، ج: 18، ص: 302.

المطلب الثاني: تقديم ألفاظ الجملة بعضها على بعض

كثيرا ما تتقدم بعض ألفاظ الجملة على بعضها البعض ويكون في ذلك من اللطائف والنكات البلاغية ما يحسن الوقوف عنده لكل متدبر متأمل لآي الذكر الحكيم، وفي سورة الحج من ذلك الشيء الكثير؛ ولعلَّ الأمثلةَ الآتية خيرُ برهان على ذلك.

أولا: تقديم الضرّ على النفع

قال الله ﷻ ﴿يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ ۚ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾﴾

ففي الآيتين تقديم للضرِّ على النفع؛ إشارة إلى أن هذه المعبودات التي تعبد من دون الله، لا تملك الضرّ الذي يملكه لله وحده، والذي يفرّ منه هذا الضال الذي إن شاء الله ضاعف عليه البلاء، ورماه بالضرّ بعد الضرّ... وهذا تهديد لهذا الضال؛ أن يأخذه الله بابتلاء آخر يتبع هذا الابتلاء الذي ابتلى به، وكفر بالله من أجله...[1].

وفي هذا التقديم "إيماء إلى أنه تملص من الإسلام تجنبا للضر لتوهمه أن ما لحقه من الضر بسبب الإسلام وبسبب غضب الأصنام عليه، فعاد إلى عبادة الأصنام حاسبا أنها لا تضره، وفي هذا الإيماء تهكم به يظهر بتعقيبه بقوله تعالى: ﴿وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ﴾ أي فهو مخطئ في دعائه الأصنام لتزيل عنه الضر فينتفع بفعلها"[2].

ثانيا: تقديم الطوائف والملل بعضها على بعض

في قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾﴾

وقد تكلّم المفسرون عن سرّ تقديم أهل الإيمان على غيرهم في موضعي البقرة والمائدة وهما قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ **[البقرة: 62]**

وقوله ﷻ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾﴾ **[المائدة: 69]**.

---

[1] ينظر: التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب، لا.ط، دار الفكر العربي القاهرة، ج: 9، ص: 996.

[2] التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج: 17.

فقرروا أنَّه "ابتدئ بذكر المؤمنين للاهتمام بشأنهم ليكونوا في مقدمة ذكر الفاضلين فلا يذكر أهل الخير إلا ويذكرون معهم،"[1]ثم أتبعهم بأصحاب الديانات الأخرى من يهود[2] وصابئة[3] ونصارى[4] وزاد عليهم مجوس[5] والمشركين في الحجّ.

غير أنّه ـ ﷻ ـ في موضع البقرة قدّم الصابئين على النّصارى وأخرهم عنهم في المائدة والحجّ؛ فما السرُّ في ذلك؟

"فقيل: وجه تقديم النصارى هنالك أنهم أهل كتاب دون الصابئين، ووجه تقديم الصابئين هنا أن زمنهم متقدم على زمن النصارى"[6].

ثالثا: تقديم أماكن العبادة لذا غير المسلمين على المساجد

قوله جلا وعلا﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ...۝﴾

فقد قدمت الصوامع والبيع على المساجد؛ ولهذا التقديم أغراض توقف عندها المفسرون وأبانوا عنها، من ذلك قولهم أنَّ تقديمها في الذكر لأنَّها أقدم في الوجود، وقيل: أخَّر المساجد كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾ **[فاطر:32]**

قال ﷺ «**نَحْنُ الآخِرُونَ السَّابِقُون**»[7].[8].

---

[1] المصدر السابق، ج: 1، ص: 532.

[2] **اليهود:** من هاد الرجل: أي رجع وتاب؛ وإنما لزمهم هذا الاسم؛ لقول موسى عليه السلام: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ الأعراف:156 أي رجعنا وتضرعنا، وهم أمة موسى عليه السلام، وكتابهم التوراة. (ينظر: الملل والنحل، الشهرستاني، ج: 2، ص: 15).

[3] **الصابئة:** هي ديانة يقدِّس أصحابها الكواكب والنجوم ويعظمونها. (ينظر: موسوعة الملل والأديان، ج: 2، ص: 89).

[4] **النصارى:** هم أمة المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته عليه السلام. وهو المبعوث حقا بعد موسى عليه السلام، المبشر به في التوراة. (ينظر: الملل والنحل، الشهرستاني، ج:2، ص:25).

[5] **المجوس:** هم عبدة النيران، القائلون: إن للعالم أصلين: نور وظلمة، وقيل: المجوس في الأصل النجوس؛ لتدينهم باستعمال النجاسات (ينظر: موسوعة الملل والأديان، ج: 2، ص: 170).

[6] فتح القدير، الشوكاني، ج:3، ص: 523.

[7] أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب: الجمعة، باب: فرض الجمعة، ج: 2، ص: 2، حديث رقم:876.

[8] ينظر: التفسير الكبير، الفخر الرازي، ج: 23، ص: 230، واللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الحنبلي، ج: 14، ص: 105.

فتقديم الشيء على غيره لا يقتضي دائما شرفه وفضله؛ من ذلك قوله تعالى ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن:2]

فممَّا يدل على فضل المساجد مع أنَّها مؤخرة؛ أنّه ﷻ عقب عليها بقوله ﴿يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ أي ذكرا كثيرا أو وقتا كثيرا وهي صفة مادحة للمساجد خصَّت بها دلالة على فضلها وفضل أهلها ويجوز أن يكون صفة للأربع [1].

رابعا: تقديم الرجال على الركبان

قال الله تعالى اسمه ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾

فقد قدّم الرجال على الركبان؛ لكون هذه الحال ـ أي رجالا ـ أغرب فقدَّمه في الذكر, ثمَّ ذكر بعده وعلى كل ضامر تكملة لتعميم الأحوال؛ إذ إتيان الناس لا يعدو أحد هذين الوصفين [2].

وقيل أنَّه ـ ﷻ ـ قدّم الرجال لزيادة تعبهم بالمشي [3].

وقال فريق ثالث: "وأما مجرد تقديم رِجالًا على الركبان فلا يدل على الأفضلية، لأنَّ العطف بالواو لا يقتضي الترتيب، ولجواز أن يكون تقديم الرجال على الركبان للإشارة إلى مسارعة الناس في الامتثال حتى إن الماشي ليكاد يسبق الراكب"[4].

وكل ما ذكر من وجوه فحسن مقبول؛ غير أنَّ الذي ترتاح إليه النفس؛ هو قول من قال: أنَّ تقديم الرجال على الركبان فيه فائدة جليلة، وهي أنَّ الله شرط في الحجّ الاستطاعة، ولابدَّ من السفر إليه لغالب الناس، فذكر نوعي الحجاج لقطع توهم من يظن أنَّه لا يجب على الراكب، وقدَّم الرجال اهتماماً بهذا المعنى وتأكيداً له [5].

---

[1] ينظر: روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي (تـ: 1127هـ)، لا.ط، دار الفكر بيروت، ج: 6، ص: 34.

[2] ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج: 17، ص: 244.

[3] ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان، ، ج: 18، ص: 308.

[4] التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة بن مصطفى الزحيلي، ط: 2، الناشر: دار الفكر المعاصر – بيروت، دمشق 1418هـ، ج: 17، 199.

[5] ينظر: الضوء المنير على التفسير، ابن القيم الجوزية، ج: 4، ص: 276-277.

المبحث الثالث: أساليب البيان والبديع في السورة

القرآن الكريم حافل بأفانين من البيان والبديع؛ اللذان أضفيا عليه رونقا تعجز دونه قوى البشر وملكاتهم مجتمعة عن الإتيان بمثله قال تعالى ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ **[الإسراء:88]** وفي سورة الحجِّ ألوان من هذا البيان الساحر والبديع الآسر، الذي لا يمكن أنْ يغيب عن متدبّر في آياتها البينات، وسأحاول في هذا المبحث الوقوف عند شيء من هذا الدُّر المكنون الكامن فيها.

المطلب الأول: الصور البيانية

تنوعت الصور البيانية في السورة الكريمة بين تشبيه واستعارة وكناية ومجاز؛ وبيان ذلك على ما يأتي:

الفرع الأول: التشبيه

وقد ورد منه في سورة الحجِّ أربعة مواضع وهي:

أولا: قوله تبارك وتعالى ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾ وهو تشبيه بليغ مؤكد أي كالسكارى من شدة الهول، حذفت أداة التشبيه والشبه،[1] وقوله تعالى بعده ﴿وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾ قرينة على قصد التشبيه[2].

قال ابن القيم "فهم سكارى من الدهش والخوف، وليسوا بسكارى من الشراب، فسُكرهم سكر خوف ودهش، لا سكر لذة وطرب"[3].

فبسبب الزلزلة والهول العظيم طاشت عقولهم، واضطربت أفهامهم فصاروا كالسكارى، بجامع سلب كمال التمييز وصحة الإدراك [4].

وقوله تعالى ﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾ دليل على أنَّ سكرهم ليس على حقيقته [5].

---

[1] ينظر: صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، ط1: 1417 هـ-1997م دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، ج: 2، ص: 260.

[2] ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج: 17، ص: 188.

[3] مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، ط3: 1416 هـ - 1996م، دار الكتاب العربي – بيروت، ج: 3، ص: 287.

[4] ينظر: فتح القدير، ج: 3، ص: 515.

[5] ينظر: نظم الدرر، البقاعي، ج: 5، ص: 132.

ثانيا: قوله سبحانه وتعالى ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ٣١﴾

فهذا تشبيه تمثيلي لأنَّ وجه الشبه منتزع من متعدد [1].

قال ابن عاشور: "قد أعقب نهيهم عن الأوثان بتمثيل فظاعة حال من يشرك بالله في مصيره بالشرك إلى حال انحطاط وتلقف الضلالات إياه ويأسه من النجاة ما دام مشركا تمثيلا بديعا إذ كان من قبيل التمثيل القابل لتفريق أجزائه إلى تشبيهات" [2].

جاء في الكشاف: يجوز في هذا التشبيه أن يكون من المركب[3] والمفرق[4]:

فإن كان تشبيها مركبا فكأنه قال: من أشرك بالله فقد أهلك نفسه إهلاكا ليس بعده نهاية، بأن صور حاله بصورة حال من خرّ من السماء فاختطفته الطير، فتفرق في حواصلها، أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطارح البعيدة.

وإن كان مفرقا فقد شبه الإيمان في علوه بالسماء، والذي ترك الإيمان وأشرك بالله بالساقط من السماء، والأهواء التي تتوزع أفكاره بالطير المختطفة، والشيطان الذي تُطيح به في وادي الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة [5].

وقال ابن القيم: "فتأمل هذا المثل ومطابقته لحال من أشرك بالله، وتعلَّق بغيره، ويجوز لك في هذا التشبيه أمران: أن تجعله مركبا...وعلى هذا لا ينظر إلى كل فرد من أفراد المشبه ومقابله من المشبه به، والثاني: أن يكون من التشبيه المفرق فيقابل كل واحد من أجزاء الممثل والمثل به" [6].

---

[1] الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، محمد حسين سلامة، ط1: 1423هـ/2002م، دار الآفاق العربية، ص: 189.

[2] ينظر: التحرير والتنوير، ابن 1عاشور، ص: 17، ص: 254.

[3] **التشبيه المركب**: وهو التشبيه الذي يكون على شكل لوحة تصور أكثر من مفرد، ووجه الشبه فيه يكون مأخوذاً من مفرد بعينه، بل يـكون مأخوذاً منه ومن غيره، أو من الصورة العامة (ينظر: البلاغة العربية، الميداني، ج: 2، ص: 186).

[4] **التشبيه المفرّق**: هو انتزاع الشبه من عدة أمور يجمع بعضها غلى بعض ثمّ يستخرج من مجموعها الشبه فيكون سبيله سبيل شيئين يمزج أحدهما بالآخر حتى تحدث صورة غير ما كان لهما في حال الإفراد لا سبيل شيئين يجمع بينهما وتحفظ صورتهما (ينظر: أسرار البلاغة، الجرجاني، ص: 80-81).

[5] ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج: 3، ص: 156.

[6] إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم الجوزية، تحق: محمد عبد السلام إبراهيم، ط1: 1411هـ/1991م، دار الكتب العلمية – بيروت، ج: 1، ص: 138.

وأين كان نوع التشبيه، فإنَّه رسم صورة سريعة خاطفة لمن أشرك بالله، قال سيد قطب بعد أن تساءل عن سرِّ هذه السرعة الخاطفة في هذا التشبيه؟

فأجاب قائلا: "لئلا يتوهم أحد أنَّ لمن يشرك بالله منبتًا، أو وجوداً، أو قراراً، أو امتداداً، مهما ينال من الحسب والقوة والجاه و البنين، إنَّما يأتي في ومضة من المجهول، ليذهب في ومضة إلى المجهول، هكذا في ومضة، يخرُّ من السماء من حيث لا يدري أحد فلا يستقر على الأرض لحظة، إنَّ الطير لتخطفه، أو إنَّ الريح لتهوي به، وتهوي به في مكان سحيق حيث لا يدري أحد" [1].

ثالثا: التشبيه الثالث في السورة واردٌ في قوله تعالى ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾

قال ابن حيان: "واختلفوا في هذا التشبيه؛ فقيل في العدد أي اليوم عند الله ألف سنة من عددكم"،[2] وفي الحديث عن أبي هريرة ﷺ، قال: ﷺ: «**يَدْخُلُ فُقَرَاءُ الْمُسْلِمِينَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَائِهِمْ بِنِصْفِ يَوْمٍ وَهُوَ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ**» [3].

وقيل : التشبيه وقع في الطول للعذاب فيه والشدة،[4] فالعذاب في ذلك اليوم "هو في الثقل ومما يُخَاف منه كألفِ سَنَة" [5].

قال السعدي: ". أي: يستعجلك هؤلاء المكذبون بالعذاب، لجهلهم، وظلمهم، وعنادهم، وتعجيزا لله، وتكذيبا لرسله، ولن يخلف الله وعده، فما وعدهم به من العذاب، لا بد من وقوعه... الذي يجمع فيه أولهم وآخرهم، ويجازون بأعمالهم، ويقع بهم العذاب الدائم الأليم، ولهذا قال: ﴿**وَإِنَّ يَوْمًا**

---

[1] التصوير الفني في القرآن الكريم، سيد قطب، ط16: 1422هـ/2002م، دار الشروق ص:43- 132،

[2] البحر المحيط، ابن حيان، ج: 6، ص:350.

[3] أخرجه الترمذي في سننه، تحق: إبراهيم عطوة عوض، ط2: 1395هـ/1985م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر،كتاب: أبواب الزهد، باب: باب ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم، حديث رقم: 2353، ج: 4، ص: 578، قال الترمذي: هذا الحديث حسن صحيح.

[4] ينظر: البحر المحيط، ابن حيان، ج: 6، ص: 350.

[5] معاني القرآن، أبو الحسن المعروف بالأخفش الأوسط (ت: 215هـ)، تحق: د. هدى محمود قراعة، ط1: 1411هـ/1990م، مكتبة الخانجي-القاهرة، ج: 2، ص: 252.

﴿عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾ من طوله، وشدته، وهوله، فسواء أصابهم عذاب في الدنيا، أم تأخر عنهم العذاب، فإن هذا اليوم، لا بد أن يدركهم" [1].

فعذاب الآخرة ثقيل ومهين وطويل، ولكن المخاطب لا يعلم مدى الوقت الذي يستغرقه هذا العذاب، فتبين الآية مقدار العذاب، وانه يضاهي عذاب ألف سنة من الدنيا لشدته وهوله [2].

رابعا: التشبيه الرابع في قوله تعالى ذكره ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾

قيل هذا تشبيه تمثيلي؛ حيث مثل الكفار في عبادتهم لغير الله كمثل الأصنام التي لا تستطيع أن تخلق ذبابة واحدة [3].

قال الزمخشري:"سميت القصة الرائقة المتلقاة بالاستحسان مثلا تشبيها لها ببعض الأمثال" [4].

فيما اعتبره ابن عاشور من قبيل التشبيه الضمني؛ فقال مبينًا له: " فالتشبيه في هذه الآية ضمني خفي ينبأ عنه قوله: ﴿وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ﴾ وقوله ﴿لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾ فشبهت الأصنام المتعددة المتفرقة في قبائل العرب وفي مكة بالخصوص بعظماء، أي عند عابديها، وشبهت هيئتها في العجز بهيئة ناس تعذر عليهم خلق أضعف المخلوقات، وهو الذباب" [5].

ويضيف ابن القيم: "أقام سبحانه حجة التوحيد وبين إفك أهل الشرك والإلحاد بأعذب ألفاظ وأحسنها، لم يستكرها غموض، ولم يشنها تطويل، ولم يعبها تقصير، ولم تزر بها زيادة ولا نقص، بل بلغت في الحسن والفصاحة والبيان والإيجاز ما لا يتوهم متوهم ولا يظن ظانٌ أن يكون أبلغ في معناها منها، وتحتها من المعنى الجليل القدر، العظيم في الشرف، البالغ في النفع ما هو أجل من الألفاظ [6].

---

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: 1376هـ)، تحق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط1: 1420هـ/2000م، مؤسسة الرسالة، ص: 541.

(2) القرآن والصورة البيانية، د. عبد القادر حسين، ط2: 1405هـ/1985م، دار عالم الكتب، ص: 94.

(3) ينظر: الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، محمد حسين سلامة، ص: 189.

(4) الكشاف، الزمخشري، ج: 3، ص: 171.

(5) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج: 17، ص: 340.

(6) بدائع التفسير الجامع لما فسره الإمام ابن القيم الجوزية، يسري السيد محمد وصالح أحمد الشامي، ط1: رمضان 1427هـ، دار ابن الجوزي، ج: 2، ص: 222.

الفرع الثاني: الكناية

أولا: الكناية في قوله تعالى﴿ثَانِيَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۝٩﴾

فهي كناية عن التكبر،[1]وقيل: تمثيل للتكبر والخيلاء،[2] وقد قدمت هذه السورة الكريمة صورة مزرية لذلك المجادل في الله بغير علم، صورة للجاهل المغرور المتعجرف [3].

وكذلك في قوله سبحانه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾

فالعاكف هو كناية عن الساكن بمكة لأن الساكن بمكة يعكف كثيرا في المسجد الحرام بدليل مقابلته بالبادي [4].

ثانيا: ما جاء في قوله جلَّ وعلا ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ﴾

وهذه كناية عن امتلاء نفوسهم من الإنكار والغيظ حتى تجاوز أثره بواطنهم فظهر على وجوههم، كما في قوله تعالى:﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ۝٢٤﴾ **[المطففين: 24]** كناية عن وفرة نعيمهم وفرط مسرتهم به [5].

الفرع الثالث: الاستعارة

أولا: ومن الاستعارات الواردة في السورة ما جاء في قوله تعالى﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ۝١١﴾

فهي استعارة تمثيلية؛ حيث شبه المنافقين وما هم فيه من قلق واضطراب في دينهم، بمن يقف على شفا الهاوية، يريد العبادة والصلاة [6].

---

[1] ينظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ج: 4، ص: 12. صفوة التفاسير، الصابوني، ج: 2، ص: 260.

[2] ينظر: التحرير والتنوير، ج: 17، ص: 208.

[3] التفسير الوسيط، الطنطاوي، ج: 9، ص: 283.

[4] ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج: 17، ص: 237.

[5] ينظر: التحرير والتنوير، ج: 17، ص: 334.

[6] ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان، محمد الأمين الأرمي، ج: 18، ص: 289. صفوة التفاسير، الصابوني، ج: 2، ص: 260.

قال سيد قطب: "إنَّ الخيال ليكاد يجسم هذا الحرف الذي يعبد الله عليه هذا البعض من الناس، وإنَّه لكاد يتخيل الاضطراب الحسي في وقفتهم هم يتأرجحون بين الثبات والانقلاب، وإنَّ هذه الصورة لترسم حالة التزعزع بأوضح ممّا يؤديه وصف التزعزع، لأنَّها تنطبع في الحسِّ، وتتصل منه بالنفس"[1].

والاستعارة أيضا في قوله تعالى ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ١٩﴾

فهي استعارة عن إحاطة النار بهم كما يحيط الثوب بلابسه[2].

غير أنَّ الصحيح أنَّها ليست استعارة لأنَّ الثياب هي من نار كما صرحت الآية.

ثالثا: واستعارة أخرى في قوله تعالى ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً أَوۡ يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَقِيمٖ ٥٥﴾

استعارة بديعة وهذا من أحسن الاستعارات لأنَّ العقيم هي المرأة التي لا تلد فكأنَّه سبحانه وصف ذلك اليوم بأنَّه لا ليل بعده ولا نهار لأنَّ الزمان قد مضى والتكليف قد انقضى فجعلت الأيام بمنزلة الولدان لليالي وجعل ذلك اليوم من بينها عقيما على طريق الاستعارة[3].

ولعلّي أكتفي بهذا القدر من الصورة البيانية التي اشتملت عليها السورة؛ لأنَّها أكثر من أن تحصى، وما هذا القدر المذكور إلا دليل عن بلاغة النظم القرآني فيها.

---

[1] التصور الفني، سيد قطب، ص: 45-46.

[2] ينظر: الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، محمد حسين سلامة، ص: 190،

[3] ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان، الأرمي، ج: 18، ص: . الإعجاز البلاغي، محمد حسين سلامة، ص: 190. القرآن والصورة البيانية، عبد القادر حسين، ص: 190.

المطلب الثاني: البديع

تطلق كلمة البديع على الغريب العجيب، أو الجديد الذي ينشأ على غير مثال سابق، وهي في أسماء الله تعالى بمعنى الخالق ابتداء لا عن مثال سابق، يقول تعالى ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ١١٧﴾ [البقرة: 117] [1].

والبديع بوصفه نوعا من أنواع البلاغة: هو معرفة وجوه تحسين الكلام بعد مراعاة مطابقته لمقتضى الحال، ووضوح الدلالة. وقد ورد بقسميه اللفظي والمعنوي وبأنواعهما بكثرة في رحاب سورة الحجِّ ولعلَّ الاختيارات الآتية خير دليل على ذلك:

أولا: الطباق

من ذلك الطباق في قوله تعالى﴿كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ٤﴾ بين الفعلين "يهديه" و"يضله".[2]

ومنه طباق السلب في قوله تعالى ﴿مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ﴾

ومنه ائتلاف الطباق والتكافؤ في قوله تعالى ﴿وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٥﴾

لمجيء أحد الضدين، أو أحد المتقابلين حقيقة والآخر مجازاً، فمهود الأرض واهتزازها ضدان؛ لأنَّ الهمود سكون فالاهتزاز هنا حركة خاصة وهما مجازان، والرنو والإنبات ضدان، وهما حقيقتان؛ لأنَّ الأرض ترنو حالة نزول الماء عليها وهي لا تنبت في تلك الحالة، فإذا انقطعت مادة السماء وجفف الهواء رطوبة الماء خمد الرنو وعادت الأرض إلى حالها من الاستواء وتشققت وأنبتت فصدر الآية تكافؤ، وما قابله من عجزها طباق [3].

ومنه الطباق في قوله سبحانه وتعالى ﴿يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ١٢﴾ بين لفظتي: "يضره" و"ينفعه".

وكذا قوله تعالى ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ١٨﴾.

---

[1] فن البديع، د. عبد القادر حسن، ط1: 1403هـ/1983م، دار الشروق، ص: 41.

[2] ينظر: صفوة التفاسير، ج: 2، ص: ، تفسير حدائق الروح والريحان، ج: 18، ص: 219.

[3] ينظر: بديع القرآن، ابن الإصبع المصري(ت: 654هـ)، تحق: حفني محمد شرف، لا.ط، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ص: 34.

ومنه قوله تعالى ﴿ٱلَّذِي جَعَلۡنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِ﴾.

وغيرها من نوعي الطباق التي كثر ورودها في السورة في معرض الاستدلال على وحدانيته بإقامة الحجة على الكفار والمشركين

الفرع الثاني: المقابلة

منها المقابلة البديعة في قوله تعالى ﴿فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ١١﴾ [1].

وذلك بين "خير" و"فتنة"، وبين "اطمأن" و"انقلب"، وبين "الدنيا" و"الآخرة"، فاجتمعت في الآية ثلاث أضداد ومعلوم أنَّ المقابلة تكون بين ضدين فأكثر.

غير أنَّ المقابلة "تكون بين شيئين متوافقين وضديهما ثمَّ شرطت هنا شرطا شرطت هناك ضده" [2].

إذاً فلا يحسن تسميتها بالمقابلة فهي إلى الطباق أقرب.

ولئن لم يستوف المثال السابق شروط المقابلة؛ فإنَّ في المثال الآتي مقابلة مستوفية الشروط، ويتعلق الأمر بالمقابلة بين قوله سبحانه وتعالى ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٥٠﴾ وبين قوله تعالى﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوۡاْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ٥١﴾ [3].

وقريبا منه المقابلة بين قوله سبحانه وتعالى ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ٥٦﴾ وبين قوله تعالى﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٥٧﴾، بمقابلة ثواب المؤمنين بعقاب الكافرين [4].

---

[1] ينظر: صفوة التفاسير، الصابوني، ج: 2، ص: 260. الإعجاز البلاغي، محمد حسين سلامة، ص: 191.

[2] مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي(ت: 626هـ)، تحق: نعيم زرزور، ط2: 1407هـ/1987م ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ص: 424.

[3] ينظر: صفوة التفاسير، الصابوني، ج: 2، ص: 271.

[4] ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج: 17، ص: 310.

الفرع الثالث: التنكيت

يعرَّفه البلاغيون بقولهم: "هو أن يقصد المتكلم إلى شيء بالذكر دون غيره ممَّا يسد مسده لأجل نكتة في المذكور ترجح مجيئه على سواه" [1].

وأمثلته كثيرة في سورة الحجِّ منها:

أولا: في قوله تعالى﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾ فقد عدل في القول من حامل إلى ذات حمل؛ فما السرُّ وراء ذلك؟

يجيبنا عن ذلك ابن القيم بقوله: "وتأمل – رحمك الله تعالى – السر البديع في عدوله سبحانه عن كل حامل إلى قوله:﴿ذَاتِ حَمْلٍ﴾ فإن الحامل قد تطلق على المهيأة للحمل وعلى من هي في أول حملها ومبادئه فإذا قيل ذات حمل لم يكن إلا لمن ظهر حملها وصلح للوضع كاملا أو سقطا كما يقال ذات ولد فأتى في المرضعة بالتاء التي تحقق فعل الرضاعة دون التهيؤ لها وأتى في الحامل بالسبب الذي يحقق وجود الحمل وقبوله للوضع والله تعالى أعلم" [2].

ثانيا: الإفراد في قوله ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾

فطفلًا حال أجريت على تأويل كل واحد أو للدلالة على الجنس أو لأنه في الأصل مصدر،[3] كما أن هنالك في اللغة ألفاظ يستوي فيها المفرد والجمع، فطفل هنا بمعنى أطفال، وقد وردتْ أطفال في موضع آخر في قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ﴾ **[النور: 59]** [4].

وقيل: إنما قال: ﴿طِفْلًا﴾ فوحد، لأن الميم في قوله تعالى:﴿نُخْرِجُكُمْ﴾ قد دلت على الجميع، فلم يحتج إلى أن يقول: أطفالا [5].

ثالثا: وصفت الأرض بالهامدة في قوله تعالى ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۝﴾ بينما وصفت بالخاشعة في قوله تعالى في سورة فصلت ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ

---

[1] بديع القرآن، ابن لإصبع المصري، ص: 212.

[2] بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، لا.ط، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ج: 4، ص: 22.

[3] ينظر: أنوار التنزيل، البيضاوي، ج: 4، ص: 64.

[4] ينظر: جامع البيان، الطبري، ج: 16، ص: 464.

[5] زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: 597هـ)، تحق: عبد الرزاق المهدي، ط1: 1422 هـ، دار الكتاب العربي – بيروت، ج: 3، ص: 224.

أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡۚ إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٣٩﴾ **[فصلت: 39]** فلماذا؟

فهذان الوصفان عبر بهما القرآن عن الأرض قبل نزول المطر، وقبل تفتحها بالنبات، وقد يفهم البعض أنَّ هذا مجرد تنويع في التعبير.

ولكن السياق الذي وردت فيه كل واحدة منهما مختلف عن الآخر. فالجو العام في "هامدة" غيره في "خاشعة" لأنَّ الجو في السياق الأول جو بعث وإحياء وإخراج، وممَّا يتسق معه تصوير الأرض بأنَّها "هامدة" ثمَّ تهتزّ وتربو، وتنبت من كل زوج بهيج.

وإنَّ الجو في السياق الثاني جوُّ عبادة وخشوع وسجود، يتسق معه تصوير الأرض بأنَّها "خاشعة"، فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت [1].

[1] ينظر: إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، ط1: 1421هـ/2000م، دار عمار- عمَّان، ص: 221.

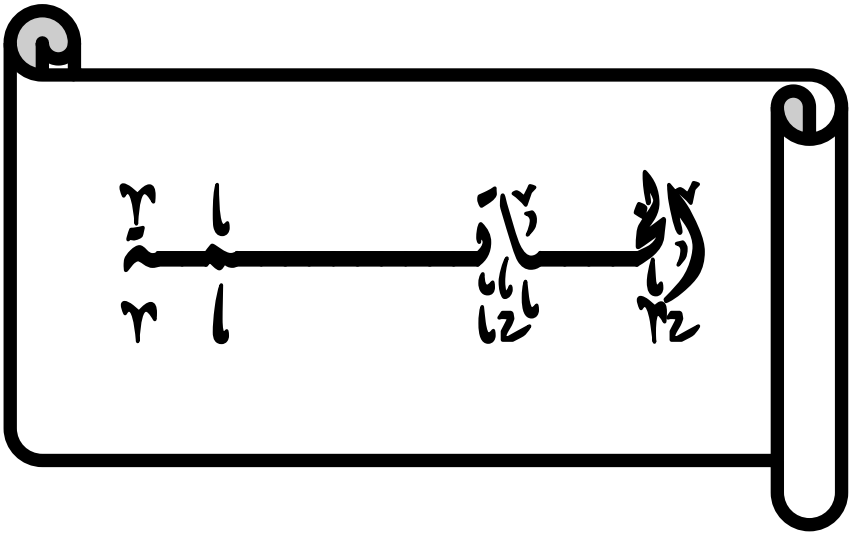

الخاتمـــــــــة

الحمد لله الذي تدوم بشكره المنن، وتطيب بذكره القلوب وتطمئن، وأصلي وأسلم على خليله وصفوة خلقه، وعلى صحابته فصيحي اللِسن.

فبعد التَّطواف في رحاب سورة الحج، والسعي بين آياتها البينات، وقفت ـ بِمنِّ الله وكرمه ـ على جملة من النتائج والتوصيات لعلَّي أجملها فيما يلي:

أمَّـــــا النتـــــائج:

1-أنَّ لفظتي التفسير والبيان يلتقيان في المعنى اللغوي؛ وهو الوضوح، ويفترقان في اصطلاحات العلماء؛ فالأول: هو بيان معاني كتاب الله، والثاني: عبارة عن إظهار المتكلم المراد للسامع.

2-ما استقر عندي أنَّ التفسير البياني: هو تفسير يعنى فيه المفسر ببيان وجوه وأسرار الألفاظ والأساليب في التعبير القرآني، للوقوف على مكامن الإعجاز فيه.

3-من الضروري التفريق بين مصطلحي التفسير البياني والإعجاز البياني وبيان ما بينهما من خصوص وعموم فلأول أعمُّ من الثاني.

4-سورة الحجِّ من بين قلائل السور في القرآن الكريم التي تجمع بين القرآن المكي والمدني، ممَّا جعلها تتميز بتنوع الموضوعات فيها.

5-حروف المعاني كان لها دور هام جدا في النظم القرآني، وهو ما كشفته سورة الحجِّ، بفضل ما حملته هذه الأحرف من دلالات ولطائف بلاغية.

6-سورة الحجِّ اختصت بسمة تعبيرية خاصة، كما تفردت بألفاظ لم ترد فيما سواها، وليس هذا فحسب بل إنَّ تلك الألفاظ لا يمكن أن تنوب عنها غيرها في مواضعها.

7-من وجوه الإعجاز في السورة الكريمة الفواصل، فقد كان لها وقع قوي شديد رافق السورة من مستهلها وإلى غاية آخر آية منها.

8-صحيح أنّي لم أذكر كافة الأساليب التي تضمنتها السورة؛ غير أنَّ القدر المذكور يعطي صورة عن البلاغة الأسلوبية التي تمتعت بها السورة.

9-الصور البيانية في السورة توصف بالكثرة والتنوع بين تشبيه واستعارة وكناية ومجاز، وهذه الصور تنسجم مع الموضوعات في السورة، كما تسهم في تقرير الغرض منها.

10-البديع كان له رونق خاص وذلك لتنوعه وكثرته بين طباق, ومقابلة ,ورد لصدر على العجز، وكذا أسلوب اللف والنشر وغيرها الكثير من الأساليب التي سجلت حضورها وبقوة في السورة الكريمة.

11-إن كانت الصبغة الجمالية ظاهرة بيِّنة في الأساليب البلاغية في السورة فهي أيضا كانت تواكب موضوعات السورة, وتتماشى مع مقاصدها, فنجد الأسلوب البلاغي حاضرا في معرض الاستدلال والترهيب والترغيب والقصص المجملة وحتى في الأحكام, على عادة القرآن الكريم في حشد الأساليب البلاغية ووجوه البيان في تقرير مقاصده.

وأمَّا التوصيـــات:

1-وهي موجهة في الأساس للقائمين على هذا التخصص؛ وذلك بأن يدرجوا مقياسا خاصا بتلقين قواعد وأصول التفسير البياني, كما هو الشأن في نوعي التفسير التحليلي والموضوعي ولا يقتصروا على مجرد إدراجها كمقياس لطلبة الماستر في سداسي واحد, لأنَّ هذا القدر غير كافٍ.

2- أنصح الباحثين في مثل هذه المرحلة الراغبين في اختيار هذا النوع من التفسير أن يختاروا سورة من قصار السور أو من المفصل؛ حتى يتسنى لهم الوقوف على جميع الأساليب في تلك السورة, فمثلا أقترح عليهم سورة الذاريات, أو الطور, أو الفتح، والمهم طبعا أن لا تكون تلك السورة قد سبقت بدراسة مستقلة.

3-هنالك عدد كبير من المفسرين تميزت تفاسيرهم بالتركيز على الجانب البلاغي في التفسير فلو أنَّ طالباً يشمر على سواعد الجد والاجتهاد وينهل ويتتبع منهج ذلك المفسر, ويكشف عن خصائص التفسير البياني عنده؛ لكان في ذلك عمل علميّ جادٌّ.

4-مما لاحظته أثناء قيامي بهذا البحث هو اختلاف التفسير البياني بين سلف المفسرين وخلفهم؛ فأقترح أن يعمد أحد الباحثين على تقديم دراسة مقارنة بين التفسير البياني بين السلف والخلف.

وفي الأخير أسأل الله العظيم أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم, وينفعني به يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وما كان فيه من إجادة وإحسان فمن الله وحده، والخطأ والنقصان من نفسي القاصرة ومن الشيطان والله ورسوله منه بريئان, وصلى الله وسلم على نبيه العدنانﷺ.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

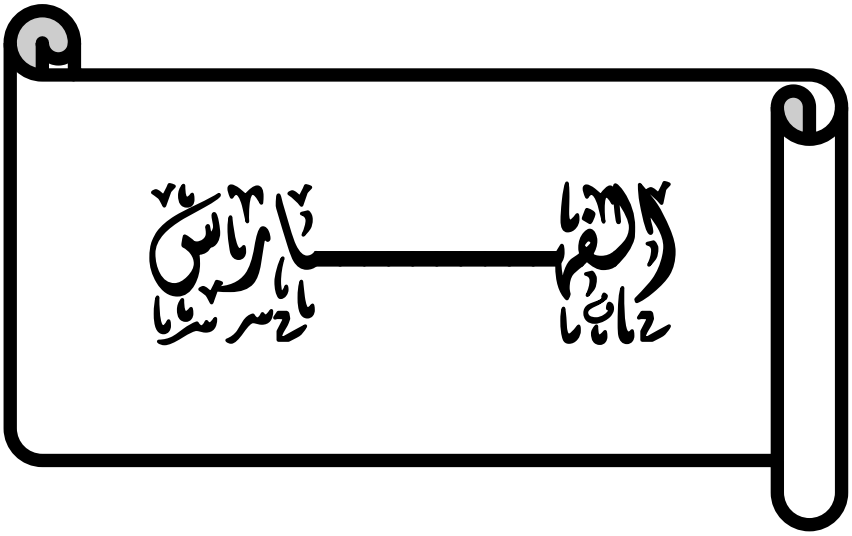

الآيـــــة أو طرفـها	رقمـها	الصفـــحة
سـورة البقـرة		
﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾	10	40
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾	62	57
﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾	117	66
سورة آل عمـــران		
﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾	59	20
﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾	96	35
﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ﴾	178	26
سورة النســـــاء		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾	01	50
﴿يَسۡـَٔلُكَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيۡهِمۡ كِتَٰبٗا﴾	153	25
سورة المائـــــدة		
﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ﴾	50	47
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾	69	59
سورة الأنعـــــام		
﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾	82	07
سورة الأعـــــراف		
﴿* وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ﴾	156	58
سورة هـــــود		
﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُ﴾	05	32
سورة الرعـــد		
﴿وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِ﴾	06	18
سورة إبراهيـــم عليه السلام		
﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ	01	44

﴿ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾		
سورة النحل		
﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ﴾	70	20
سورة الإسراء		
﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾	01	19
﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ﴾	88	60
سورة الكهف		
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾	30	29
سورة الأنبياء		
﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾	01	15
﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾	47	15
سورة الحج		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝١﴾	01	15.28.39.50
﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾	02	31.54.60.68
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾	03	21.55
﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ﴾	04	25.66
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ﴾	05	19.20.23.51.66.68
﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾	06	17.42
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾	08	21.28.55
﴿ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾	09	32.55.64
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾	11	13.21.64

﴿يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ﴾	12	57.66
﴿يَدۡعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦ﴾	13	57
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾	17	29.43.57
﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾	18	21.66
﴿* هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡ﴾	19	13.14.65
﴿وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ ٢١﴾	21	56
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ﴾	23	22.44
﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾	24	43.44
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾	25	18.30.56.64.67
﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا﴾	27	30.59
﴿لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ﴾	28	30
﴿ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ﴾	29	24.33.35
﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦ﴾	31	18.40.61
﴿لَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾	33	24.30.35.36
﴿وَٱلۡبُدۡنَ جَعَلۡنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ لَكُمۡ﴾	36	30.56
﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ﴾	37	56
﴿* إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾	38	43
﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْ﴾	39	29.42.43
﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ﴾	40	46.58.59
﴿وَأَصۡحَٰبُ مَدۡيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ﴾	44	26

﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ﴾	45	25.26
﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾	47	18.62.63
﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ﴾	48	26
﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾﴾	49	51
﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾	50	67
﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ﴾	51	67
﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾	55	65
﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾	56	67
﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾	57	67
﴿لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ﴾	59	47
﴿* ذَٰلِكَ ۖ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ﴾	60	19.48
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾	63	27
﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾	72	64
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ﴾	73	52.63
﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾	74	46
﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾	75	21
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟﴾	77	52
﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ ﴾	78	45
سورة المؤمنون		
﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾﴾	01	16
﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾	20	18
سورة النور		
﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟﴾	59	68

﴿		
سورة الفرقان		
﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾	33	02
سورة الشعراء		
﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾	195	04
سورة لقمان		
﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾	12	07
﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ﴾	13	07
سورة سبأ		
﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾	06	44
سورة فاطر		
﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾	32	58
سورة فصلت		
﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً﴾	39	69
سورة الذاريات		
﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾	58	46
سورة التغابن		
﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾	02	59
سورة الملك		
﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾	11	40
سورة المطففيـــــن		
﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾﴾	24	64

أولا: الأحـاديـث النبوية

الحديث أو طرفه	الراوي	الصفحة
«الفِطْرَةُ خَمْسٌ: ...»	ابن عمر رضي الله عنه	33
«إنَّ منَ البَيَان لَسحْرًا»	ابن عمر رضي الله عنه	03
«بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ...»	ابن عباس رضي الله عنه	11
«كان الرجل يقدم المدينة...»	ابن عباس رضي الله عنه	13
«لَيْسَ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ الشِّرْكُ...»	عبد الله بن مسعود رضي الله عنه	07
«نَحْنُ الآخِرُونَ السَّابِقُون»	أبو هريرة رضي الله عنه	58
«نزلت في الذين برزوا يوم بدر...»	أبو ذر الغفاري رضي الله عنه	14
«يَدْخُلُ فُقَرَاءُ المُسْلِمِينَ الجَنَّةَ...»	أبو هريرة رضي الله عنه	62

ثانيا: الآثـــــار

الأثر أو طرفه	الراوي	الصفحة
"التفث: المناسك كلها"	ابن عمر رضي الله عنه	33
"﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ أي: بياناً"	مجـــاهد	02

العلم المترجم له	الصفحة
ابن الزبير الغرناطي: أحمد بن إبراهيم بن الزّبير بن محمد بن إبراهيم	26
ابن العربي: محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد ابن العربي المعافري	33
ابن جُزيّ: محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن جزي الكلبي	02
ابن عطية: عبد الحق بن أبي بكر أبو محمد بن غالب بن عطية المحاربي الغرناطي	09
ابن فارس: أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب أبو الحسين اللغوي القزويني	01
ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري	09
أبو عبيدة: معمر بن المثنى التيمي البصري	08
الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي	08
الرُّماني: أبو الحسن علي بن عيسى بن علي بن عبد الله	09
الزجاج: إبراهيم بن السريّ بن أبو سهل إسحاق الزّجّاج النحويّ	25
سيبويه: هو عمرو بن عثمان بن قُنبر أبو بشر	54
الفَرَّاء: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسلمي الفراء، الديلمي الكوفي	08
نافع بن الأزرق: الحروري	07
النضر بن الحارث: بن علقمة بن كلدة ابن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي القريشي العبدري	21

أولا: القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

ثانيا: الكتب

1-اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر هجري، د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، ط3: 1418هـ/1997م، مؤسسة الرسالة.

2-إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، أحمد بن محمد البنا (ت: 1117هـ)، تحق: د.شعبان محمد إسماعيل، ط1، دار عالم الكتب بيروت.

3-إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت:982هـ)، لا.ط، دار إحياء التراث العربي-بيروت.

4-أسرار البلاغة في علم البيان، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني(ت: 471هـ)، تحق: محمد رشيد رضا، ط1: 1409هـ/1988م، دار الكتب العلمية-بيروت.

5-أسرار ترتيب القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، لا.ط، دار الفضيلة للنشر والتوزيع.

6-أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي (ت:1393هـ)، لا.ط، دار الفكر لطباعة والنشر والتوزيع بيروت-لبنان.

7-إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني،د.صلاح عبد الفتاح الخالدي، ط1: 1421هـ/2000م، دار عمار-عمَّان.

8-إعراب القراءات السبع وعللها، أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه (ت: 370هـ)، تحق: د.عبد الرحمن سليمان العثيمين، ط1: ، دار الخانجي القاهرة 1413هـ/1992م،

9-إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت : 1403هـ)، ط4: 1415هـ، دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص – سورية.

10-إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم الجوزية، تحق: محمد عبد السلام إبراهيم، ط1: 1411هـ/ 1991م، دار الكتب العلمية – بيروت.

11-الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، تحق: محمد أبو الفضل إبراهيم، لا.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1394هـ/ 1974 م.

12-الأدوات النحوية في كتب التفسير، د. محمود أحمد الصغير، ط1: 1422هـ/2001م، دار الفكر دمشق-دار الفكر المعاصر بيروت.

13-الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، محمد حسين سلامة، ط1: 1423هـ/2002م، دار الآفاق العربية.

14-الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية المتواترة، أ.د. أحمد بن محمد الخراط، لا.ط، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف-المدينة المنورة 1426هـ.

15-الإعجاز البياني في نظم خواتم الآي المشتملة على أسماء الله الحسنى(رسالة ماجستير)، عاطف رجب جمعة القانوع، كلية الآداب، قسم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية-غزة.

16-الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، لا.ط، دار الكتب العلمية بيروت.

17-البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي (ت: 745هـ)، تحق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت.

18-البرهان علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: 794هـ)، تحق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1: 1376هـ/1957م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.

19-البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حسن حبنّكة الميداني، ط1، دار القلم . دمشق . والدار الشامية . بيروت.

20-البيان في عدّ آي القرآن، عثمان بن سعيد أبو عمرو الداني (ت: 444هـ)، تحق: غانم قدوري الحمد، ط1: 1414هـ/1994م ، مركز المخطوطات والتراث – الكويت.

21-التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (ت: 616هـ)، تحق: علي محمد البجاوي، لا.ط، الناشر : عيسى البابي الحلبي وشركاه.

22-التبيان في تفسير غريب القرآن، أحمد بن محمد بن عماد الدين بن علي، أبو العباس، ابن الهائم (ت: 815هـ)، تحق: د ضاحي عبد الباقي محمد، ط1: 1423هـ، دار الغرب الإسلامي – بيروت.

23-التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: 1393هـ)، لا.ط، الدار التونسية للنشر – تونس 1987هـ.

24-التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي (ت:741هـ)، تحق: الدكتور عبد الله الخالدي، ط1، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت - 1416 هـ.

25-التصوير الفني في القرآن الكريم، سيد قطب، ط16: 1422هـ/2002م، دار الشروق.

26-التعبير القرآني، د. فاضل بن صالح السامرائي، ط4: 1427هـ/2006م، دار عمار-عمَّان.

27-التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب، لا.ط، دار الفكر العربي القاهرة.

28-التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة بن مصطفى الزحيلي، ط2، الناشر: دار الفكر المعاصر - بيروت، دمشق 1418هـ.

29-التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، إعداد لجنة من علماء التفسير وعلوم القرآن بإشراف مصطفى مسلم، ط:1، كلية الدّارسات العليا والبحث العلمي جامعة الشارقة 1431هـ /2010م.

30-التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، ط1، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة 1998.

31-التفسير والمفسرون، د. محمد السيد حسين الذهبي، لا.ط، مكتبة وهبة القاهرة.

32-الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله القرطبي (ت:671هـ)، تحق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2: 1384هـ /1964 م، دار الكتب المصرية – القاهرة.

33-الجدول في إعراب القرآن الكريم وصرفه وبيانه، محمود صافي، ط3: 1416هـ/1995م، دار الرشيد-دمشق مؤسسة الإيمان-بيروت.

34-الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن قاسم المراوي، تحق: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، ط1: 1413هـ/1992م، دار الكتب العلمية بيروت.

35-الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، لا.ط، دار الفكر-بيروت.

36-الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون برهان الدين اليعمري (ت: 799هـ)، تحق: د.محمد الأحمدي أبو النور، لا.ط، دار التراث للطبع والنشر القاهرة

37-الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت: 393هـ)، تحق: أحمد عبد الغفور عطار، ط4: 1407هـ/1987م، دار العلم للملايين – بيروت.

38-الفاصلة في القرآن، محمد الحسناوي، ط2: 1421هـ/2000م، دار عمار-الأردن.

39-القرآن والصورة البيانية، د. عبد القادر حسين، ط2: 1405هـ/1985م، دار عالم الكتب.

40-المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (ت: 505هـ)، تحق: بسام عبد الوهاب الجابي، ط1: 1407هـ/1987م، الجفان والجابي – قبرص.

41-الكتاب، عمرو بن عثمان الملقب بسيبويه(ت: 180هـ)، تحق: عبد السّلام محمد هارون، ط3: 1408هـ/1988م، مكتبة الخانجي القاهرة.

42-الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد جار الله الزمخشري (ت: 538هـ)، ط3: 1407هـ، دار الكتاب العربي-بيروت.

43-اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي (ت: 775هـ)، تحق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ط1: 1419هـ/1998م، دار الكتب العلمية – بيروت-لبنان.

44-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي(ت:542هـ)، تحق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط1: 1422هـ، دار الكتب العلمية – بيروت.

45-المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية، خالد بن سليمان المزيني، ط1: 1427هـ/2006 م، دار ابن الجوزي، الدمام – المملكة العربية السعودية

46-المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي(ت:458هـ)، تحق: عبد الحميد هنداوي، ط1: 1421هـ/2000م، دار الكتب العلمية – بيروت.

47-المزهر في علوم اللغة وأنواعها، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت:911هـ)، تحق: فؤاد علي منصور، ط1: 1418هـ/1998م، دار الكتب العلمية بيروت.

48-المعجم الوسيط، مجموعة من المؤلفين، تحق: مجمع اللغة العربية، لا.ط، دار الدعوة.

49-المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: 502هـ)، تحق: صفوان عدنان الداودي، ط1: 1412هـ، دار القلم، الدار الشامية – دمشق-بيروت.

50-الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (ت: 548هـ)، لا.ط، مؤسسة الحلبي.

51-النبأ العظيم، محمد بن عبد الله دراز (ت:1377هـ)، ط: 1426هـ/2005م، دار القلم للنشر والتوزيع.

52-النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت: 450هـ)، تحق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، لا.ط، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان.

53-النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد الجزري ابن الأثير (ت: 606هـ)، تحق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، لا.ط، المكتبة العلمية – بيروت، 1399هـ ./1979م.

54-أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: 685هـ)، تحق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط1: 1418هـ، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

55-بدائع التفسير الجامع لما فسره الإمام ابن القيم الجوزية، يسري السيد محمد وصالح أحمد الشامي، ط1: رمضان 1427هـ، دار ابن الجوزي.

56-بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، لا.ط، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

57-بديع القرآن، ابن الإصبع المصري(ت: 654هـ)، تحق: حفني محمد شرف، لا.ط، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

58-بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت: 817هـ)، تحق: محمد علي النجار، لا.ط، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

59-بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، تحق: محمد أبو الفضل إبراهيم، لا.ط، المكتبة العصرية لبنان–صيدا.

60-تأملات في سورة إبراهيم تفسير بلاغي تطبيقي، د. عادل أحمد صابر الرويني، ط1: 1434هـ /2013م، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم–الإمارات.

61-تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، د. صلاح الدين الخالدي، ط3: 1429هـ/2008م ، دار القلم دمشق الدار الشامية بيروت.

62-تفسير أسماء الله الحسنى، إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج (ت: 311هـ)، تحق: أحمد يوسف الدقاق، لا.ط، دار الثقافة العربية.

63-تفسير أسماء الله الحسنى، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد السعدي (ت: 1376هـ)، تحق: عبيد بن علي العبيد، لا.ط، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

64-تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي (ت: 1418هـ)، لا. ط، مطابع أخبار اليوم 1997م.

65-تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل ابن كثير الدمشقي (ت: 774هـ)، تحق: سامي بن محمد سلامة، ط2: 1420هـ/1999م، دار طيبة لنشر والتوزيع .

66-تفسير حدائق الروح والريحان، محمد الأمين بن عبد الله الآرمي العلوي الهرري الشافعي، ط: ، 1421هـ /2001م، دار طوق النجاة.

67-تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: 1376هـ)، تحق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط1: 1420هـ/2000م، مؤسسة الرسالة.

68-جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير أبو جعفر الطبري (ت: 310هـ)، تحق: أحمد محمد شاكر، ط1: 1420هـ/2000م، مؤسسة الرسالة.

69-جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني، ط28: 1414هـ/1993م، المكتبة العصرية صيدا–بيروت،

70-دراسات في أسلوب القرآن الكريم، عبد الخالق عضيمة، لا.ط، دار الحديث-القاهرة.

71-دقائق التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية، تحق: د. محمد السَّيد الجليند، ط2: 1404هـ/1984م، مؤسسة علوم القرآن-دمشق.

72-دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت: 471هـ)، تحق: محمود محمد شاكر، ط3: 1413هـ/1992م، مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة.

73-ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، شرح وتقديم: عبدأ مهنا، ط3: 1414هـ-1994م، دار الكتب العلمية بيروت.

74-روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي (ت: 1127هـ)، لا.ط، دار الفكر بيروت.

75-روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: 1270هـ)، تحق: علي عبد الباري عطية، ط1: 1415هـ، حار الكتب العلمية-بيروت.

76-زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: 597هـ)، تحق: عبد الرزاق المهدي، ط1: 1422 هـ، دار الكتاب العربي – بيروت.

77-زهرة التفاسير، د. محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت: 1394هـ)، لا.ط، دار الفكر العربي.

78-سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى الترمذي(ت: 279هـ)، تحق: إبراهيم عطوة عوض، ط2: 1395هـ/1985م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر.

79-سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي(ت 748هـ)، مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط ، ط3: 1405هـ1985م، مؤسسة الرسالة.

80-صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، تحق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1: 1422هـ، دار طوق النجاة.

81-صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: 261هـ)، تحق: محمد فؤاد عبد الباقي، لا.ط، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

82-صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، ط1: 1417 هـ/1997م دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة.

83-طبقات المفسرين، محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي (ت: 945هـ)، لجنة من العلماء بإشراف الناشر، لا.ط، دار الكتب العلمية – بيروت.

84-على طريق التفسير البياني، د. فاضل بن صالح السامرائي، لا.ط، كلية الآداب والعلوم جامعة الشارقة 1423هـ/ 2003م.

85-فتح البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي القِنَّوجي (ت: 1307هـ)، تحق: عبد الله إبراهيم الأنصاري، لا.ط، المكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت 1412 هـ /1992 م.

86-فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: 1250هـ)، ط1: 1414هـ، دار ابن كثير دمشق ودار الكلم الطيب بيروت.

87-فن البديع، د. عبد القادر حسن، ط1: 1403هـ/1983م، دار الشروق.

88-فنون الأفنان في عيون علوم القرآن، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي(ت: 597هـ)، تحق: د. حسن ضياء الدين عتر، ط1: 1407هـ/1987م، دار البشائر الإسلامية بيروت-لبنان.

89-في رحاب التفسير، عبد الحميد كشك، لا. ط، المكتب المصري الحديث.

90-في ظلال القرآن، سيد قطب، (ت: 1385هـ)، ط17: 1417هـ، دار الشروق - بيروت- القاهرة

91-كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: 170هـ)، تحق: د.مهدي المخزومي و د.إبراهيم السامرائي، لا.ط، دار ومكتبة الهلال.

92-لسان الميزان، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: 852هـ)، تحق: دائرة المعرف النظامية – الهند، ط2: 1390هـ /1971م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت – لبنان.

93-لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور (ت: 711هـ)، ط3: 1414هـ، دار صادر – بيروت.

94-لغة القرآن الكريم، د. عبد الجليل عبد الرحيم، ط1: 1401هـ/1981م، مكتبة الرسالة الحديثة عمان-الأردن.

95-مباحث في البلاغة وإعجاز القرآن الكريم، د. محمد رفعت أحمد زنجير، ط1: 1428هـ-2008م، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم.

96-مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ط3: 1421هـ/2000م، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع .

97-متن طيبة النشر في القراءات العشر، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف ابن الجزري(ت: 833هـ)، تحق: محمد تميم الزغبي، ط1: 1414هـ/1994م، دار الهدى جده.

98-محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي (ت: 1332هـ)، تحق: غانم قدوري الحمد، ط1: 1418هـ، دار الكتب العلمية بيروت.

99-مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت: 666هـ)، تحق: يوسف الشيخ محمد، ط5: 1999م، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا .

100-مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، ط3: 1416 هـ /1996م، دار الكتاب العربي – بيروت.

101-مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت: 710هـ)، تحق: يوسف علي بديوي، ط1: 1419هـ/1998م، دار الكلم الطيب، بيروت.

102-معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت: 510هـ)، تحق: مجموعة محققين، ط4: 1417هـ/1997م، دار طيبة لنشر والتوزيع.

103-معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت: 311هـ)، تحق: عبد الجليل عبده شلبي، ط1: 1408هـ/1988م، عالم الكتب-بيروت.

104-معاني القرآن، أبو الحسن المعروف بالأخفش الأوسط (ت: 215هـ)، تحق: د. هدى محمود قراعة، ط1: 1411هـ/1990م، مكتبة الخانجي-القاهرة.

105-معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي، ط1: 1420هـ/2000م، دار الفكر لطباعة والنشر والتوزيع الأردن.

106-معترك الأقران في إعجاز القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، ط1: 1408هـ/ 1988م، دار الكتب العلمية - بيروت – لبنان.

107-معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني، (ت:395هـ)، تحق: عبد السلام محمد هارون، لا.ط، دار الفكر 1399هـ/ 1979م، .

108-مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي(ت: 626هـ)، تحق: نعيم زرزور، ط2: 1407هـ/1987م ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

109-مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، د. مساعد بن سليمان الطيار، ط2: 1427هـ، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع.

110-ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي (ت: 708هـ)، تحق: عبد الغني محمد علي الفاسي، لا.ط، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

111-مناهل العرفان، محمد عبد العظيم الزُرقاني، ط2، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

112-نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم، عدد من المختصين بإشراف الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد، ط4، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة.

113-نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت: 885هـ)، لا. ط، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

114-وظيفة الصورة الفنية في القرآن، عبد السلام أحمد الراغب، ط1: 1422هـ/2001م، فصلت للدراسات والترجمة والنشر – حلب.

115-وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان(ت:681هـ)، تحق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت.

الموضـــــوع	الصفحة
الإهداء	
شكر وتقدير	
الملخص باللغتين العربية والإنجليزية	
المـــــــــقدمة	
أولا: إشكالية البحث	ب
ثانيا: أهمية البحث	ب
ثالثا: أسباب اختيار البحث	
رابعا: أهداف البحث	
خامسا: الدراسات السابقة	
سادسا: مصادر البحث	
سابعا: المنهج المتبع	
ثامنا: منهجية البحث	
تاسعا: صعوبات البحث	
عاشرا: خطة البحث	
الفصل الأول: التفسير البياني وسورة الحجّ في دائرة المفهوم	
المبحث الأول: التفسير البياني: مفهومه, وأدواته, ونشأته وأهم رواده	
المطلب الأول: تعريفه	
الفرع الأول : التفسير	
أولا: التفسير في اللغة	
ثانيا: التفسير في الاصطلاح	
الفرع الثاني: البيان	
أولا: البيان في اللغة	
ثانيا: البيان في الاصطلاح	
الفرع الثالث: التفسير البياني باعتباره مركبا إضافيا	

المطلب الثاني: أدواته	
المطلب الثالثك نشأته وأهم رواده	
المبحث الثاني: بين يدي سورة الحجِّ	
المطلب الأول: اسم السورة وبيان مكيها ومدنيها وعدد آياتها ومحورها العام	
الفرع الأول: اسم السورة	
الفرع الثاني: بيان مكيها ومدنيها	
الفرع الثالث: عدد آياتها	
الفرع الرابع: محورها العام	
المطلب الثالث: الروايات الوارد في سبب نزولها	
المطلب الثالث: المناسبات في السورة	
الفرع الأول: مناسبة السورة لما قبلها	
الفرع الثاني: المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها	
الفرع الثالث: مناسبة السورة لما بعدها	
الفصل الأول: بلاغة اللفظة القرآنية في سورة الحجِّ	
المبحث الأول: بلاغة حروف المعاني	
المطلب الأول: حروف الجرِّ	
أولا: البـــاء	
ثانيا: مِـــن	
المطلب الثاني: حروف العطف	
أولا: ثُمَّ	
ثانيا: الفـــاء	
المطلب الثالث: الأحرف المشبهة بالفعل	
المبحث الثاني: ألفاظ انفردت بها سورة الحجِّ	
المطلب الأول: الفعل تذهل	
المطلب الثاني: ثاني عطفه	

المطلب الثالث: لفظة التفث	
المبحث الثالث: بلاغة الفاصلة القرآنية في السورة	
المطلب الأول: جرس الفاصلة القرآنية	
المطلب الثاني: الفواصل المنتهية بأسماء الله الحسنى	
الفرع الأول: الفواصل المنتهية باسم واحد	
الفرع الثاني: الفواصل المنتهية باسمين	
الفصل الثاني: دراسة أسلوبية لسورة الحجّ	
مدخـــل	
المبحث الأول: أسلوب النداء	
المطلب الأول: النداء بـ: يا أيها الناس	
الفرع الأول: الموضع الأول	
الفرع الثاني: الموضع الثاني	
الفرع الثالث: الموضع الثالث	
الفرع الرابع: الموضع الرابع	
المطلب الثاني: النداء بـ: يا أيها الذين آمنوا	
المبحث الثاني: أسلوب التقديم والتأخير	
المطلب الأول: تقديم العامل على معموله	
أولا: تقديم الظرف على فعله	
ثانيا: تقديم المفعول على فعله	
ثالثا: تقديم الخبر شبه جملة على فعله	
رابعا: تقديم الخبر المفرد على المبتدأ	
المطلب الثاني: تقديم ألفاظ الجملة بعضها على بعض	
أولا: تقديم الضر على النفع	
ثانيا: تقديم الملل والطوائف	
ثالثا: تقديم أماكن العبادة لذا غير المسلمين على المساجد	
رابعا: تقديم الرجال على الركبان	

المبحث الثاني: أساليب البيان والبديع في السورة	
المطلب الأول: الصور البيانية	
الفرع الأول: التشبيه	
الفرع الثاني: الكناية	
الفرع الثالث: الاستعارة	
المطلب الثاني: البديع	
الفرع الأول: الطباق	
الفرع الثاني: المقابلة	
القرع الثالث: التنكيت	
الفهـــــــــارس	
فهرس الآيات القرآنية	
فهرس الأحاديث النبوية والآثار	
فهرس الأعلام المترجم لهم	
فهرس المصادر والمراجع	
فهرس الموضـــوعات	

تم بحمد الله